

قراءة ممتعة
مع تحيات يحيى الصويفي
مؤسس ورئيس تحرير موقع

القصة السورية
SyrianStory

نبذة رصيف

75 قصة قصيرة جدا من الناصرة
ناجي ظاهر

الكاتب

تعب الكاتب ابن الخمسين وهو يبحث عن قصة يكتبها. انطلق في الشوارع يبحث عن قصته. رآها في كل مكان، غير انه ما أن كان يراها حتى تختفي. ظل يبحث ويبحث، إلى أن اخذ منه التعب مأخذا لم يسبق وان أخذه منه طوال أيامه، أسابيعه، شهوره وسنواته الماضية. بعد أن تعب الكاتب، استرخى على حافة قصصه، أغمض عينيه، استرخى خيل إليه انه يرى الناس يتوافدون لرؤيته واحدا تلو الآخر. في تلك اللحظة أحس انه عثر على قصته.. فتوحد بها.. وأصبح.. قصة.

الأعماق

منذ استمع في طفولته إلى حكايات تلك المرأة، كيفية البصر، عن الشاطر حسن وقريته المهجرة، وهو يبحث عن امرأة مثلها، يسترخى في حضنها الدافئ، ليستأنف الاستماع إلى تلك الحكايات. بحث عن تلك المرأة في كل مكان وقعت عينه عليه، بحث عنها في البيوت التي دخلها لأناس يعرفهم وآخرين لا يعرفهم إلا للتو، وضع رأسه في بحثه ذاك، ولم يرفعه إلا في الخمسين من عمره. حينما رفع رأسه اكتشف انه أصبحت لديه حكاية. شرع في الحكى.. في تلك اللحظة فقط شعر انه عثر على من كان يبحث عنها، كانت تلك المرأة في أعماقه، هناك في أعماقه.

حالة

القصص تنهال عليه من كل اتجاه، من الشوارع، من الساحات، من الأبواب والشبابيك، ومن اللوحة المعلقة في مكتبه أيضا. القصص تدق على باب مخيلته آناء الليل وأطراف النهار، تلح عليه في أن يكتبها مثلما فعل خلال خمسين عاما مضت من عمره.

يحتار في أي من القصص يبدأ، من قصته مع تلك المرأة الجاحدة الناكرة له ولوجوده، أم يبدأ من قصة تلك المرأة ذاتها، من مشاعرها واحاسيها.
تستولي عليه الحيرة، يقرر أن يتهرب، أن يوصد بابه في وجه القصص، يوصد بابه، يكتشف انه بات وحيدا، بالضبط مثلما كان قبل خمسين عاما.

الاوادم

تعالى يا ستي، تعالى يا قمر وأنت يا وردة، تعالى هون حدي يا ستي.
اقعدي هون على طرف السرير بحدي.
ليش بتجوش يا ستي تزوروني؟ ليش أمك بدهاش أبوك في البيت عندكوا يا ستي؟ ابوكوا زلمة مليح. صدقيني انه لو لاه بحدي كان زمان.. زمان صارت عظامي مكاحل. بس ابوكوا زلمة طيب يا ستي.. طول عمره معتدش ع حدا.. تعالى يا ستي بحدي.. بدي اياكوا مثل ابوكوا.

الحن

تقف قبالة بيتها في الحي الغربي من المدينة. تنظر إلى البيت حيث والدتها المسنة وذكريات إخوة لها كانوا. تنتقل بنظرها إلى سيارتها المركونة هناك غير بعيد عن البيت.
تنتابها حالة من الحزن لم تشعر بمثلها خلال خمسة وأربعين عاما مضت من عمرها، رغم لحظات الحزن المائلة.
تنتقل نظرها بين البيت والسيارة. لديها كل شيء وليس لديها أي شيء، إنها التعاسة عينها. ماذا بإمكانها أن تفعل كي تخرج من لحظة حزنها القاتلة؟ إلى أين تذهب وليس لديها من احد في المدينة؟ تستعرض صور الماضي، تبرز من بينها صورة صديقتها سرورة من أيام الدراسة الابتدائية، تقرر أن تزورها، أن تراها، أن تعود إلى الماضي، أن تلامسه بيديها، فلعل فيه ما يختلف عما يغص به الواقع..
تظل صورة سرورة، تنسبها صورة بيتها، أمها وإختها وحتى سيارتها، تركض باتجاه بيت سرورة تركض وتركض.. تصل أخيرا إلى بيت سرورة، انه نفس لبيت، ترتب ثيابها تتقدم تفرع الباب، تظل امرأة مسنة، تسألها عما تريد، تقول لها إنها تريد أن ترى سرورة.. تبكي المرأة المسنة، تخبرها أن سرورة ماتت منذ عشرين عاما.

هلاك

مللت الحياة في حيفا. حيفا لم تأت إلا بالألم والحزن، لم اشعر فيها بالاستقرار. أكثر من ثلاثين عاما وأنا أفكر في العودة إلى بلدي الناصرة، دون أن أعود.
أريد أن اترك البيت، الزوج العاطل عن العمل، وأبنائي المتزوجين، كل واحد في حضن زوجته. أريد أن اخذ ابنتي أحلام، ابنة العاشرة، أخت العنقود، وان أعود إلى الناصرة.
أريد أن أعود لنشرب القهوة تحت الدالية قدام بيتنا القديم، لندعو الجارات لشرب القهوة معنا، في حيفا لا يشربون القهوة مثلنا، أريد أن أعود إلى هناك، لكن كيف أعود وقد مات أبي وماتت أمي ومات أخي الأكبر، وتفرق إخوتي المتبقين كل إلى ناحية؟ إلى أين أعود؟

الدموع

أبي الغالي. اكتب إليك من عالمي الآخر، بعد أن عجز الطب عن معالجاتي، فمت وأنا في الثامنة من العمر.
أنا لا ألومك يا أبي على شيء، فقد حاولت أن تقدم لي كل ما تمكنت من أن تقدم من علاج، أخذتني إلى المستشفيات في العفولة وحيفا وفي الناصرة، أخذتني إلى المستشفيات في كل مكان، لم تفقد الأمل في أن اشفى وفي أن أكون أنا ابنتك دنيا، دنياك الرائعة.
اعدرنى يا أبي لأنني لم أتمكن من أن أكون دنياك.. التي حلمت بها.

لقد مضت سنوات على رحيلي يا أبي وأنا أراك من عالمي الآخر، تبكي كلما تذكرتني. أرجوك ألا تبكي أكثر، أنت لم تقصر معي ودموعك تحرق روحي. لا تبك يا أبي.. أرجوك.

الأسعد!

مصادفة غريبة وقعت في مدخل سوق الناصرة. العيون التفت بالعيون، لحظة الشك كانت سريعة عابرة، جاء بعدها اليقين.

إنهما هما ذاتهما، هما الصديقان اللذان جمع بينهما الألم، قبل ثلاثين عاما، هو أبو السعيد الذي لم يعرف يوما سعيدا في حياته، وبقي يحلم بمتري من الأرض يقيم بيتا صغيرا عليه، وذلك أبو الأسعد، الذي لم يلتق بمن هو أنعس منه في العالم، لأنه بقي يحلم بمتري من الأرض يحفر فيه قبرا يؤويه في دنياه وفي آخرته، إنهما هما الصديقان اللذان حلما دون أن يكون لهما شيء.

يقترب كل من الصديقين، وهو يتساءل عما صار إليه حال صديقه، يفهم كل منهما ما يريد أن يعرفه الآخر. حالة من الخجل تنتاب الاثنين، فوضعهما ما زال على ما هو عليه.. ويفترقان في نفس اللحظة التي التقيا فيها.. بالضبط مثلما افترقا قبل.. ثلاثين عاما.

مساحة

يخرج الفنان من محله الجديد في السوق القديم. يدخل إليه.. إن أحدا لا يزوره، الكل يريد أحياء السوق، إلا أن أحدا لم يفعل شيئا. أهل بلدي تحولوا إلى ظاهرة كلامية، يردد هذه الكلمة، لا يتذكر أين قراها. يروق له ترداد الكلمة.. يرددها.

يخرج يدخل. تصطم عيناه بلوحاته الرائعة، بقطع الخشب التي برع في تصنيعها. هو يريد أن يهرب، لكن إلى أين؟ إلى أين وكل ما حوله يحاصره في محله؟ ماذا يفعل؟ يرسم؟ اجل يرسم ليوصل الرسم، ما هي الرسمة التي سيرسمها الآن؟ سيرسم نفسه خارجا وادخلا إلى محله.. سيرسم نفسه ولماذا لا يرسمها؟

الفنان يشرع في رسم نفسه، كل ضربة فرشاة تقربه من نفسه أكثر.. تقربه.. فعلا تقربه من نفسه.. يشعر بارتياح لم يشعر بمثله منذ سبعة أعوام، ين جاء من يقدم إليه هذا المحل ليكون مرسمه في البلدة القديمة شبه الميته. هو يشعر بارتياح حقيقي.. يسترخي واضعا يديه على شكل مثلثين تحت رأسه، يسترخي مثلما يسترخي كل الناس.. شعور بالراحة يغمره.. شعور لم يشعر بمثله أبدا.. أي شعور هذا؟ انه الشعور الأريح، أن تحتل مساحة من اللوحة.. ما أروع هذا.

معجزة

هو واحد من مهجري قرية المجيدل، يقيم مع زوجته وأبنائه العشرين، في "جبل الدولة". يحمل كل صباح كيس أليس ويخرج إلى عمله. في الطريق إلى عمله يضع ما يجده في طريقه في كيسه ويمضي، مسامير براغي، دبابيس شعر دبابيس للملابس حتى بنانير وأخشاب، كذلك يفعل في طريق عودته إلى بيته. حينما يسأله احدهم عن سبب جمعه لأدوات هو بغير حاجة إليها، يجيبه قائلا: إنها تنفع، سيأتي يوم ونستعملها.

مرت سنوات، ضاق بيته بمدخراته، فراح يضع ما يجمعه منها حول بيته.. حتى شكل جدارا منه!! كبر المهجر وكبر ما جمعه، في احد الأيام استيقظ أهل بيته، زوجته وأبنائه، بحثوا عنه، لم يجده حيث ينام على سريره، شاهدوا كيسه ما زال قرب سريره، فادركوا أن أمرا حصل ويستوجب السؤال عنه!! خرجوا جميعهم من البيت ليدشوا، شاهدوه ملقى على كومة مدخراته، يقبض على حفنة من المسامير والبراغي.

اقتربوا منه لامسوه.. كان باردا. بعد دفنه في اليوم ذاته، ابتدأت مشكلة ما زالت متواصلة حتى اليوم، فماذا سيفعلون بمدخرات فقيدهم؟ توصلوا بعد التشاور فيما بينهم إلى أنهم يجب أن ينقلوا تلك المدخرات إلى مكان قصي مهجور.

هكذا ابتدأوا.. إلا أنهم ما زالوا ينقلون تلك المدخرات دون أن تنقص، كانت أشبه بخمرة السيد المسيح، كلما نقصت زادت، وهو ما استدعى الزوار للوفود إلى بيت ذاك المهجر في الناصرة، من كل أنحاء فلسطين، بل من أنحاء أخرى من العالم.. الم تكن تلك معجزة مهجر؟!

احتفال باك

ما أن تلقى الفنان الوحيد، ابن الفنانة الوحيدة الراحلة، شقيق الفنان والفنانة الوحيديين الراحلين، دعوة للمشاركة في لقاء جماعي، يتبادل فيه المشاركون الأحاديث، كل على حدة، حتى لبي الدعوة. انطلق الفنان الوحيد في طريقه إلى اللقاء، تحسس كيس التبغ في جيبه، اطمأن على أنه لم ينسه في البيت كعادته.

انطلق بسرعة غير معتادة، كان يريد أن يصل إلى هناك بأسرع وقت ممكن، زاد في تصميمه على الانطلاق، أن الدعوة موجهة من جمعية أمريكية، وأن الهدف منها إتاحة الإمكانية لمن يريد أن يتحدث إلى آخر أو أخرى بحرية ودون قيود.

في الطريق راح يتصور تلك الأمريكية الجميلة التي سيلتقي بها، وسيخرج معها إلى عالم الحلم المستحيل، هو واثق من قدراته في أن يلتقط أجمل الجميلات، الم يقتنع الآن بعد ستين عاما ونيفا على الوحدة، بأن الحاجة أم الاختراع، بأنه سيجد جميلته، شهرزاده، حتى لو كانت أمريكية؟

وصل الفنان إلى المكان المحدد، دخل حيث رأى جمعا من الناس، كان كل منهم يتحدث إلى الآخر.. إلى من يتحدث هو؟ أكون تأخر يا ترى.. ربما، لكن.. ليدخل.

مضت دقائق، لم يتحدث إليه احد، أنها الوحدة تلاحقه إلى كل مكان. فكر في أن يرتد إلى الوراء. اخرج علبة تبغه من جيبه، عبأ غليونه وراح يدخن، لم يقترب منه احد، لا شهرزاده الفلسطينية ولا الأمريكية ولا .. الإلهية.

أدار ظهره سار في طريقه للخروج.

أحس بيد تمسك بيده من الكتف، التفت إلى صاحبة اليد لعله يرى شهرزاده، فوجئ بان صاحبة اليد عجوز مقلعة الأسنان.

جذبتة قبل ان يفيق من مفاجآته، ودعته لان يدخنا معها. جلس الاثنان هناك في ركن بعيد عن الآخر، هو اخرج غليونه وهي أخرجت غليونها وراحا ينفثان الدخان و.. بيبكيان.

حماية

سار الولد ابن الصف الأول في طريقه إلى مدرسته القريبة من بيته في الحارة الشرقية، يقدم خطوة ويرجع أخرى.

كان الولد يفكر في قول أمه له، أنها مريضة، وأنها ربما تموت!! عندما وقف الولد بين أقرانه الطلاب تأهبا للدول إلى الصفوف، فكر في أن يهرب من المدرسة، كي يحمي أمه من الموت، غير انه دخل إلى صفه مضطرا، فهو ولد مطيع، يطيع أمه ومعلمه، ولم يعتد على الهرب من المدرسة مثل الأولاد الأشرار.

في الصف كان الولد يستمع إلى الدروس دون أن يستمع، وكان كأنما هو يقعد على جمر. كان يفكر في أمه وفي ماذا سيحل به إذا ماتت!!

هذه الأفكار لم تفارقه ولازمته طوال الوقت، خاصة حينما خرج مع أقرانه الطلاب، وقت الاستراحة الصباحية، فماذا بإمكانه أن يفعل؟

خلال عودة الطلاب إلى الصف بعد انتهاء الاستراحة، نظر الولد، ابن الصف الأول، حوله، ولم يعبا بما رأت عيناه. انطلق راكضا باتجاه بيته، ترافقه رغبة هائلة في أن يحمي أمه من الموت.

غراب، رجل وبرد

غراب بردان في يوم شتوي ماطر، غراب يقترب من باب الدكان، يرتجف من شدة البرد. يخرج من الدكان رجل يرتجف من شدة البرد، يدنو من الغراب، الغراب لا يطير، يدنو منه أكثر، يمد يده إليه، الغراب يبقى مكانه. يتناول الرجل الغراب يرفعه بين يديه، يلامس جناحيه، يجفل الغراب بين يديه، يشعر الرجل ان الغراب كسير الجناح مثله.

يدخل الرجل إلى الدكان، يفكر: أين بإمكانه أن يضع الغراب؟ بعد أيام قد يغلق صاحب المبنى له الدكان، لأنه قصر في دفع أجرته، أين سيذهب بالغراب كسير الجناح؟ يتوقف الرجل عن التردد، يقدم حبات قمح للغراب البردان، يأخذ هذا في تناول ما قدمه إليه الرجل، يشعر بالدفء المنبعث من كانون النار هناك في داخل الدكان.. ينام الرجل أيضا ينام.

الغراب والرجل ينامان.
الرجل والغراب يستيقظان صباح اليوم التالي، يتناول كل منهما طعامه.
بعد أيام يعود كل منهما على الآخر، بشرعان باللعب معا.
الرجل والغراب كسير الجناح يصبحان حكاية السوق.
صاحب البناء يغلق الدكان ويطرد الرجل منه، يحمل الرجل غرابه ويمضي.
بعد أيام يعثر الناس على الاثنين، الرجل والغراب، متجمدين من شدة البرد.

استغاثة

يا سيدي القاضي.
أنا بيتي قاعد بخرب. الله لا يخرب بيتك ولا يخرب بيت حدا من الناس. هاي المرة الواقفة قدامك بدها تخرب بيتي وبيتها، بتعرفش شو بتعمل، هاي المرة بدها تشرد ولادنا.
من يوم ما عرفتُ هاي المرة، اللي هي مرتي، انه القانون بسمحها انها ترفض الحياة مع رجل بدهاش تعيش معه، وهي نازلة في مکتیب ومحاکم طس واحد ورا الثاني.. بدها تطلعي من بيتي.
تصدقهاش يا سيدي، أنا مش رجل عنيف، القطة بتوكل عشا، بحياتي معتديتش على حدا، اخذوا ارضي ومحكيتش اشي، اخذوا بيتي ومحكيتش، وهاي هي مرتي بدها تتركني لخراب البيت.. بس أنا المرة هاي بدي احكي. أه يا سيدي القاضي، أنا هاي المرة بدي أدافع عن بيتي، عن مرتي وعن ولادي، بدي أحافظ على آخر قلعة بقيت بأيدي.
ساعدني يا سيدي القاضي، ساعدني الله ببعثلك ولاد حلال يساعدوك، ساعدني في انه ميخربش بيتي، مرتي مش عارفه شو قاعدة بتعمل، هاي مرة متسرعة، مش عارفة شو قاعدة بتعمل.
خراب البيت مش هوين يا سيدي.. ساعدني.. الله يساعذك.

ضيق

يا صاحبي أنت لا تحب، لا تحب لا تحب. أنا متأكد من هذا تأكدي من أنني أراك ماثلا أمامي الآن، هنا وفي كل مكان.
من يجب لا يقوم بمثل ما تقوم به من أعمال وفعال، لا تقل لا، أنا رايتك وأنت تتلطي وراء الجدران، تريد أن تتأكد من إخلاص من أحببتك لك. ما كان عليك وما كان من حقتك أن تراقبها وان تنصب لها الكمان واحدا وراء الآخر، ما كان عليك أن تفعل هذا، لان من يحب يثق بمن يحبه قلبه وتتوق إلى لقائه روحه.
هو لا يعرف الكراهية حتى لغريمه، إذا وجد مثل هذا الغريم، أما أنت فانك تخلق مثل هذا الغريم ولو من خيالك.. خيالك المتعب الشكاك الظنان، أنت على العكس من المحب الحقيقي بدل أن تثق تبادر إلى الشك.
أنا رايتك وأنت تحاصر من احبتك، حيناً بالمراقبة والملاحقة، وآخر بالتحقيقات المتعبة لك ولها.
أه لو تعرف كم احبتك تلك المستورة، لما حاصرتها ولما سألتها ولفضت عليها بالمزيد من المحبة، فهذه هي الصفة الحقيقية للمزيد من المحبة وليست أية وصفة أخرى يصورها لك خيالك المتعب.
توقف يا صاحبي عن محاصرة محبوبتك ومساءلتها، توقف وإلا ندمت ساعة لا ينفع ندم، هي ذاتها طلبت مني أن انقل إليك هذا كله، وإلا فانك قد تبحت عنها .. فلا تجدها!!

اهتمامات

اهتمي بكل شيء، اهتمي بالبيت وشؤونه، بالأولاد، بذهابهم إلى المدرسة في الصباح، بعودتهم منها في ساعات ما بعد الظهرية.
اهتمي بالا تنقطع علاقة أبنائك بطليقتك، أبيهم، كوني رفيقة لهم، رقية، فكري في كل حركة أو نامة تصدر عن أي منهم، لا تدعيهم يحسون بأي نقص، كونهم يعيشون معك، بعيدا عن أبيهم، حاولي أن تقدمي إليهم كل ما

يحتاجون إليه، ابذل كل ما لديك من مجهود، خذهم في أيام العطل المدرسية شمات هوا، أخرجهم من البيت، لا تدعي شيئا ينجس عليهم حياتهم.

كوني مع أبنائك ولهم، ترفقي بأصدقائهم الصغار وبمن يحبونهم حين تجمعهم بهم الزيارات المقصودة وغير المقصودة، لا تقصري في حق احد، أكرمي الجميع، اشترى لابن أخيك العاطل عن العمل الملابس، أكرمي كي تقدمي لأبنائك المثال الطيب على أن الخير لا ينتهي من الحياة، وانه باق فيها إلى يوم الدين، وإنهم قد يعودون يوما إلى الحضن العائلي الدافئ.

لا تدخري جهدا في رعاية حديقتك المنزلية، اوجدي الوقت كي تسقي الزريعة في الأصص المتراسة على شبابيك البيت، نظفي ساحة البيت، ادعي أبنائك أحيانا ليساعدوك في تنظيفها، قوي ارتباطهم بالبيت ومحيطه، خذهم ليزوروا جدتهم الوحيدة، بعد أن رحل والدك تاركا إياها تعاني الوحدة، ادفعهم دفعا لان يضعوا رؤوسهم على صدرها، مثلما كنت تفعلين في مثل أعمارهم. لكن.. إياك أن تنسي أن تهتمي بنفسك.

جارتنا

كان علي أن أواجه أم عادل، لم يكن علي أن أوصل تجاهلي لسخرياتها المستمرة، مني ومن أبنائي، أنا امرأة وحيدة تعيش مع أبنائها الثلاثة في بيت والدتها، هذا لا يعني أن اقبل كل شيء لا يعني.. بالحتم. نظرة أم عادل وهمسها لكنتها وهي تدعوني لمشاطرتها الجلوس في باحة بيتها، حين عودتي من الدكان احمل ما اشتريته من خضار، كانت تفيض سخرية.

حين وليت شعرت بنظراتهما، هما الاثنتان، تنغرسان في ظهري، لا اعرف ما كانت كل منهما تقول للأخرى، مؤكد أنها كانت تقول لها: على ايش شايفة حالها، على أنها مطلقة وتعيش عند أمها مع أبنائها الثلاثة؟ مؤكد أنها كانت تقول لها هذا الكلام أو مثله.

لكن لا.. أنا لا يمكن أن استمر في وضع مثل هذا، يجب أن أضع حدا له، أنا يجب أن اذهب إليهما، في باحة بيتها، ويجب أن أواجههما بأنني تجاهلت نظراتهما الساخرة طوال مدة وجودي في بيت أمي، جارتها، وان الوقت حان لان تكفا عما تقومان به من عبث.

ادخل إلي بيت أمي، أضع المشتريات، أتلفز للخروج؟، تسألني أمي عن السبب، أقول لها بعد قليل ستعرفين، اذهب إلى المرأتين في باحة بيتها، أقول لهما إني رايتها واني لن امرر ما فعلتاه ضدي هذه المرة. الجارتان تفاجآن.. انصرف شاعرة بالقوة. في المساء تأتي أم عادل لتعذر لي أمام أمي، متذرة بأنها لم تقصد السخرية مني.

الم اقل لكم أنني كان يجب أن أواجهه؟ أنا الآن اشعر بالراحة.

سطوة

انا رجل حشري لا اطيق ان تحط ذبابة على انفي، ولو اخطات وحطت فان عقابها سيكون عسيرا، ذلك انني ساتابعها واطاردها حتى اتمكن منها واقضي عليها.

ساحكي لكم الان كيف تحولت من رجل حشري، على استعداد لان يدخل في عراك لمجرد ان كتف احدهم لامس كتفه في السوق.

كان ذلك يوم وقع نظري عليها، كنت يومها في الرابعة عشرة من عمري، وكنت في زيارة لاحدى شقيقاتي، حينما وقع نظري على تلك المرأة الساحرة الجميلة واسعة العينين والصد وما الى هذين من اعضاء جسمها، لم اسال نفسي يومها ما اذا كانت اكبر مني باكثر من عقد من الزمان، كما لم اسال ما اذا كانت تلك المرأة متزوجة او لا.

كل ما حصل هو انني اصبحت اسيرا مقيدا لها، اكون حينما تكون واحل حينما حلت، لا يهمني امر سوى ان اراها ولا اعبا سوى لامر واحد هو ان تكون سعيدة.

كنت ما ان اندفع بقدمي، اندفع باتجاه بيتها، وما ان اتوقف في مكان، اتوقف حيث يمكنني ان اراها. مجنوننا كنت بها، لم اكن اريد منها أي شئ سوى ان تكون راضية عني، فانا على استعداد لان البي لها كل طلباتها حتى لو طلبت لبن العصافير، فاني على استعداد لان اسافر كي احضره لها.

كانت تلك المرأة هي اميرة الاساطير، تامرني انا الحشري، فاطيع واستجيب لما تامرني به ناسيا نفسي وما تتصف به من عنف، ومسارعا لتلبية أي طلب لها.

لم تكن تلك المرأة بحاجة لان تطلب لأستجيب لطلبها، وكان بإمكانها ان تكتفي بإشارة حتى اطيير اليها على جناح الشوق فاهما مستجيبا لاشارتها وكانما هي تحدثت، حكمت وقالت.
اية امرأة تلك كانت؟! لقد كانت جنية الحكايات امرت فأطاع قلبي واطاع قلبي فانجرت وراءها انجرار الاعمى الاغريقي الباقي هوميروس وراء يولييسيه.
بعد فترة من هذا الانجرار اكتشفت انني اصبحت رقيقا مثل النسيم في ليالي الصيف.
آخ على تلك الايام.. اهكذا يفعل الحب فينا؟!!

حيرة

(وصلتني رسالة من قارئة مجهولة، قرأت بعض ما نشرته من قصص قصيرة جدا، هذا نصها)

احبك حب الندى للورد
وحب الورد للفجر
احبك حب الطير للفنن
والافاق البعيدة لرؤوس الجبال
احبك حب الموانئ البعيدة للسفن التانها في عرض البحر
وحب بحار لسفينته
احبك حب الحورية لبحار تمكنت من عقله فجذبتة الى اعماق الماء
وحب الاعماق لاعماق لم يصل اليها بشر
فهل انت من احب؟!!

اخي

لا تدعي على اخي الاكبر يا امي لانه حرمننا، نحن اخوانه، من ارضنا وبيتنا، لا تدعي عليه يا امي، انت امرأة مسنة وتعرفين ان غضب الامهات على ابنائهن يشبه النار حين تنشب برائنها.. تشب وتشتعل.
صحيح اننا فقراء واننا مهجرون، طردنا من قريننا، الا اننا نستطيع يا امي ان نعيد بناء حياتنا. لقد اخطا اخي حين استولى على الارض والدار، لكن ارجوك الا تدعي عليه، ارجوك الا تغضبي عليه، مؤكدا ان هناك سببا دفعه لحرماننا من ارضنا، انا متأكد من هذا، اخي ليس انسانا قاسيا، انت تعرفينه اكثر مني.. هناك من دفعه الى سلوك طريق القسوة دفعا.
ابنك، اخي الاكبر، لا يمكن ان يكون انسانا معتديا، اتذكرين كيف كان يساعدنا، قبل ان يرتبط بالزواج؟ اتذكرين يا امي كيف كان يضحى بكل شئ من اجلنا نحن ابناء عائلته؟ اتذكرين كيف كان ينتزع اللقمة من فمه ليضعها في افواهنا نحن اخوانه الصغار؟ لا يا امي، لا اخي انسان طيب، لا يستطيع ان يرى اخاه يبكي ويقف مكتوف اليدين، انا لا استطيع ان انسى كيف بكى معي ايام كنت في الخامسة، لانه لم يستطع ان يشتري لي حذاء للعيد.
ادعي لاهي يا امي، ارجوك الا تدعي عليه، ادعي له ان يعود اخا محبا حنوننا، ادعي له ان يعود كما كان، ادعي له يا امي، لا تدعي عليه، ارجوك.

الركن

لم تستطع المرأة المطلقة، ام الاولاد الثلاثة، المقيمة في بيت امها ان تستمع الى زوجة اخيها وهي تهين والدتها.
قفزت من على سطح البيت حيث كانت تنشر الغسيل، اقتربت من زوجة اخيها، اخذت تصرخ عليها وتدفع بها الى الخارج.. تدفع بها بعيدا عن امها.
صرخت بها، ولك انت تهينين امي انت تدفعينها لان تمزق ثوبها؟ امي لم تمزق ثوبها يوم مات ابي في السنة الماضية، لكنها مزقته حين هاجمتها في بيتها؟ ولك شو ذنب امي اذا كنت لم تحملي رغم انه مضى على زواجك من اخي خمسة اعوام.. هه..؟ ما ذنب امي؟ قلولي، ثم ماذا كان بإمكاننا ان نفعل، انا وامي، اكثر من ان نقدم لك المساعدة في تلقيك للعلاج من اجل الحبل؟

ودفعتنا الى خارج البيت، وهي تتابع الصراخ بها: انت من اخطا حينما استعملت فرد الشعر.. الم نقل لك انه عليك عدم استعمال هذا الفرد كي تحملي؟ لماذا خالفت ما قلناه لك، وما قاله لك الطبيب ايضا.. تريدين ان تكوني جميلة.. طيب هذا من حقه لكن ان تخطني فهذا ليس من حقه.
من حقه ان تنضربي، اما ان تعتدي على امي، فهذا ما لن اسمح به، لان امي هي ما تبقى من اركان لي انا وابنائي في هذا العالم.

وحدة

يدخل الرجل الى بيته، يرى زوجته استلقت على كنبه جديدة في غرفة الاستقبال، يفكر فيما يمكنه ان يقول لها، يتوقف اخيرا لانه يراها مقطبة الوجه مكفهرته.
يتخطى الرجل الكنبه حيث تستلقي زوجته، يدخل الى غرفة النوم، يستلقي هناك على التخت الزوجي، هل كان عليه ان يتجنب زوجته ام كان من الافضل ان يتحدث اليها؟ هو لا يعرف، ما يعرفه انها لم تكن مرتاحة، لقد اعتاد على فهم ما يمكن ان يحدث من مظهرها، فاذا ما كانت مكفهرة الوجه، من الافضل له ان يتجنبها، واذا كانت مبتسمة، اقترب منها وراح يتحدث اليها، في تلك اللحظة كان الافضل له ان يتجنبها والا مسحت الارض به وانسته حليب امه!!
لم يلتفت الرجل الى زوجته وهي تدخل غرفة النوم حيث استلقى قبل قليل، الم تقل له منذ ابتدأت في مشاحناتها اللامتناهية ان افضل طريقة لتجنب المشاحنات بينهما هي ان يتجنبها حين غضبها ونرفزتها؟!
هتفت الزوجة برجلها صارخة، انت تتجاهلني ايضا؟ رد الرجل انا لا اتجاهلك وانما اتجنبك في غضبك، الم تطلبي مني ان افعل هذا، في مثل هكذا مواقف؟
مدت الزوجة يدها الى شعرها، فكت رباطه، هزت راسها فانتفش شعرها، امسكت قميصها من طرفيه على صدرها وشدت بهما، وكانما هي خارجة من عراك للتو وركضت الى الخارج وهي تتهدد وتتوعد.
فهم الرجل ان زوجته ستحضر له الشرطة، لقد اعتاد على مثل هكذا موقف. بعد قليل سيأتي رجال الشرطة، سيأخذونه للتحقيق معه.. اذا ما جاؤوا هذه المرة هو لا يعرف ما ستصير اليه اموره، خاصة اذا ما كان هؤلاء من اليهود.
انكش الرجل على السرير.. انتابته حالة من الوحدة القاتلة.

قانون!!

انا اعرفك يا اخي انت لا تعرفني، عرفتكم من خلال زوجتي صديقتكم كفاح، اتيت الان، في هذا الحر اللاهب طالبا منكم، من زوجتك، صديقة زوجتي كفاح، ان تساعوني، السنا اخوة في الانسانية.
انا اعرفك.. اعرفك جيدا، قالت لي كفاح انكما، انت وزوجتك انسانان فاضلان، حكمت عنكما كثيرا وذكرتكما بالخير دائما.. كنت احب ان اتعرف اليكما في حالة افضل من هذه التي انا فيها، لكن ماذا افعل؟ وهانذا اتعرف اليكما في اللحظة الاصعب في حياتي؟
ماذا تقول يا اخي زوجتك في زيارة لاهلها في القدس؟ خسارة كنت اريدها ان تفهم لماذا صديقتها كفاح زوجتي، لا تريدين في البيت، انا انسان مسالم يا اخي، انسان مسالم ومحترم، ربما تحدثت عني زوجتي اليكما انت وزوجتك مثلما تحدثت عنكما. زوجتي كفاح، تكافح ضدي منذ سنوات، منذ عرفت ان القانون الجديد يبيح لها ان تعيش وحدها، طردتني من بيتي دون أي سبب، منذ ذلك الوقت وانا مشرد بعيدا عن بيتي وابنائي، واذا ما ارسلت اليها من يتحدث اليها، من يحاول ان يعرف لماذا انا خارج بيتي، لماذا انا بعيد عن ابنائي، واحرم من اداء دوري تجاههم، تبادر الى التهديد والوعيد، فاذا ما وصل الى البيت، تقصد انا، فان رجال البوليس سيصلون بعده بقليل لاعتقاله.
توجد لدي ابنتان يا اخي، انت ايضا توجد لديك ابنة في مثل عمرهما، في العشرينات من عمرها، انني خائف على ابنتي فهما بحاجة الي في هذه السن.
انني اطلب منك ان تتدخل انت وزوجتك، في ان نتحدثنا الى صديقتكما كفاح، اريد ان اعرف لماذا انا خارج البيت، خسارة ان زوجتك الفاضلة ليست هنا.. ارجو ان تصفاني من القانون الجديد.

لعبة

ادخل اليه في مكتبه، اراه يلعب الطاولة مع صديق له، احاول ان اتحدث اليه، ان اتذكر ايام الماضي، حينما كنا معا على مقاعد الدراسة، ان اتحدث اليه عن قصص الحب الاولى في حياتنا، انا وهو، يطلب مني ان انتظر حتى يفرغ من اللعب.

انتظر وانتظر، الا انه لا يفرغ، اهيب نفسي للخروج، يشد بي ان اجلس، اشعر انه هو ايضا يريد ان يتحدث عن الماضي وايامه الرائعات غير انه يواصل اللعب. ماذا افعل معه.

اخرج.

لاأخرج اذن!

اعود بعد ايام، الجلسة ذات الجلسة، افكر فيما فكرت فيه، في الزيارة السابقة، ما جدوى التفكير.. اتوقف اتھيا اخرج.

لن اعود اليه، لقد دخل لعبة اخرى.

تمثيلية

يجلس في مكتبه كلما زرته، يتخذ "البوزة" ذاتها، لا يغير ولا يبديل.

الباب ذات الباب.

التبغ ذات التبغ.

النفخ ذات النفخ.

ملاحقة الدخان ذات الملاحقة.

الحركات التمثيلية ذاتها.

تتساءلون لماذا اواصل زيارته؟ مكره اخوكم وليس بطلا.. والله مكره، ماذا يفعل؟ الا انه يتساءل قبالة تساؤلکم: كيف يستطيع هؤلاء ان يحافظوا على تمثيليتهم الشخصية طوال الوقت؟

اسم!

في البداية مرر الكاتب نظره على اسماء الفائزين بالجائزة، بعد ذلك مرر نظره على اسماء الكتاب في الصحيفة.

اسمه لم يكن واردا في أي موقع من الصحيفة، انفعل الكاتب، راح يقلب الصحف لعله يجد اسمه هناك، مرة اخرى جاءت الصدمة، كانت هذه المرة امر من سابقتها واقسى.

اتصل بصديق له، تحدث اليه مقصرا ومطولا، ذكر اسم صديقه اكثر من مرة في حديثه معه، لعل محدثه يخجل قليلا فيذكر اسمه ولو من باب رد الجميل، غير ان محدثه بقي مثل جلمود صخر حطه السيل من عل.

دار في الشوارع والساحات العامة، لعله يجد من يذكر اسمه الا ان احدا لم يذكره. جلس تحت شجرة يابسة، وضع راسه بين يديه: ما اصعب الا يذكرك احد!!

نبته

نبته تشق حافة الاسفلت، تشقه على استحياء، في البداية تظهر وكانما هي نقطة خضراء في سواد لا متناه، بعد ذلك تاخذ في الظهور، تفرض خضرتها على سواد الاسفلت، الخضرة تبهر النظر، تبهر من يمرون من هناك، من قربها، تبهرهم في ظهورها غير المتوقع، وفي ما امتلكته من قدرة على الحياة.

النبض الاخضر يتدفق فيها لحظة اثر لحظة، ساعة اثر ساعة ويوما تلو يوم، انها تكبر تكبر وتكبر، تريد ان يكون لها وجودها، مكانها كيانها في الحياة، لا تعبا بما تواجهه من عوامل خارجية، لا تعبا بما يهب عليها من عواصف ولا بما يشتد عليها من حر لاهب، كل ما يهمها هو ان تعيش وان تكون، ان تاخذ مكانها، خانتها الخاصة بها في العالم.

الايام، الاسابيع والشهور تمضي، وهي تزدهر، لا يوقف ازدهارها أي سبب، انها قادرة على التحدي والوجود.. فهي تمتلك.. نبض الوجود.

اشارة

في البداية ساد التوتر والغضب الصامت انحاء البيت، الفتيات الثلاث غاضبات، والدهن يبقى راضيا الى ان تطلب منه احدهن ان تخرج من البيت لزيارة زميلتها في المدرسة، عندها كان الوالد يهوج ويموج، ويبقى على ما هو عليه الى ان يفهم من ابنته انها تراجعت عن طلبها وانه لو دزها هو دزا لزيارة زميلتها الطالبة فانها لن تفعل.

الوالد راض الى حد بعيد، بناته غاضبات الى حد بعيد، الوالد يدخل الى غرفته، يغلق على نفسه، يخرج منها، يتجول في البيت، حينما يتأكد من ان واحدة من بناته الثلاث غير موجودة، يرسل ابنته رضى وتظل من عينيه فرحة لا حدود لها.

مثلا يحدث دائما.. لا شيء يمكن ان يخفى على الاخرين طوال الوقت. تضبطه ابنته الصغرى ذات لحظة وهو يرسل ابنته الراضية، يثور عجبها، لماذا والدها يبدي الغضب امامها وامام اختيها، ويرسل الابتسامات في غيابهن؟! يشتعل السؤال في خاطرها، هي تريد ان تعرف. كما يحدث دائما لا يطول التساؤل، يدخل الوالد الى غرفته، يغلق الغرفة، ترسل ابنته الصغرى نظرها عبر ثقب الباب، ترى والدها يخرج جهاز هاتف من خزنة هناك ويتحدث فيه ناسيا الدنيا وما فيها ومرسلا الابتسامة تلو الابتسامة.

ايكون الوالد يتحدث الى امراة؟

تساءلت بناته الثلاث، من المؤكد انه يتحدث الى امراة، والا ما كان اخفى امر اتصالاته، ماذا بإمكانهن ان يفعلن؟ بإمكانهن ان يعلنن مثل ما يفعله هو ذاته، ان تدخل احدهن الى الغرفة، وان تستخرج جهاز الهاتف من حيث خباه والدهن وان تتحدث الى من تشاء وكيفما تشاء. اما المتبقيتان من الاخوات الثلاث فان احدهن ستقف عند باب البيت والاخرى في وسطه، والحيطة لا تحتاج الى اكثر من اشارة صوتية ترسلها من في الخارج، حين قدوم الوالد لتتلقفها الثانية فالثالثة، وليختفي جهاز الهاتف على الفور، كي تعود الامور الى ما كانت عليه، ليس كما كانت عليه، في البداية، وانما كما صارت اليه.. بعد ان عرف البيت هدوءا غير مسبوق.

منازلة

كان ذلك في عيد فقاس البيض من عام 2000.

وضع رجل بيضة في جيبه وخرج من بيته في الحي الغربي من المدينة، وكان كلما التقى واحدا ينادي بالمنازلة البيضية، حتى يبادر اليه فيكسر له جميع ما معه من بيض ويكسبه منه حلالاً زلالاً. بالمقابل لهذا وضع رجل بيضة في جيبه وخرج من الحي الشرقي في المدينة، وكان كلما سمع شخصا يطالب بالمنازلة البيضية، يبادر اليه فكسر كل ما معه من البيض واستولى عليه راضيا مرضيا. سار ذلك وسار هذا. وكان لا بد من ان يلتقيا. اللقاء تم في وسط المدينة، المنازل كانا شرسين، قبل كل منهما المنازلة وهو واثق انه سيكسر بيضة من قبالة، لكن ما حدث هو ان واحدة من البيضتين في يد كل منهما لم تكسر.. نظر كل منهما في عيني الاخر ومضى في طريقه.. عاندا من حيث اتى.. فقد انتهت المنازلة.

عطاء

اعرف لماذا انت تتصرف هكذا، ومن مثلي يعرف؟ انا رافقتك منذ ايام الطفولة، في تلك الايام كنت اراك فقيرا وحيدا، تتمنى ان يكون لك ثوب وحذاء جديان، لكن دون جدوى.

ومضت الايام وانت تحارب وتجاهد وتكافح وتطالب بان يكون لك عنوان ولم يكن لك. ذات يوم سألت صديقا فنانا، ذكيا وقادرا عما اذا كنت ستجد عنوانا، عما اذا كنت ستجد الطريق، فرد عليك قائلا انك لن تجد هذا العنوان، وستبقى تبحث عن الطريق حتى تصير انت الطريق.

وتمضي الايام، تمضي بشوكها ووردها، وانت تمضي في طريق الحياة، كل يوم يمضي يكون درسا جديدا، تمضي الايام وتكبر.. تكبر.. تكبر.

ويصبح لديك ما طلبت ان يعطيك اياه الاخرون، يصبح لديك ما يمكنك من ان تعطي لمن كانوا في مثل وضعك فتعطي دون حدود.

اعرف لماذا انت تتصرف هكذا.. اعرف ومن مثلي يعرف.. اعرف انك تريد ان تعطي ما تمنيت ان تاخذه.

صداقة

لا اريد ان اخذ منك النقود، لا اريد ايها الصديق، صحيح انني بحاجة، ان بناتي وابنائي بحاجة الى المال، وانني مضطر للصرف عليهم، الا انني لم اصل بعد الى حد ان اخذ النقود من اخرين. عندما لجأت اليك طالبا منك ان تساعدني، ان تقف الي جانبي، لم اكن افكر في النقود، وانما كنت افكر فيمن يقف الي جانبي، فيمن يقدم لي الدعم المعنوي لمواجهة زوجة ظالمة، لا تريدني ان اعيش في بيتي والى جانب ابنائي. انت كنت نعم الصديق، وقفت الي جانبي واعطيتني ما طلبته واكثر، قدمت لي صورة للخير الذي لا يفنى ما بقي الوجود، اغدقت علي من كرم اخلاقك ومن عراقة اصلك فاعتبرتك صديقا. الان تاتي لتقدم لي النقود، ضب نقودك ايها الصديق، ضبها، فانا لست طالب صدقة وانما طالب صداقة.. ضب نقودك كي ابقى في مستوى صداقة نبتت على رصيف وحققته وجودها. ضب نقودك ايها الصديق.. ضبها كي ابقى جديرا بك و.. بصداقتك.

احتراق

اسمعي جيدا. اعرف مدى اهتمامك بما كتبه من نتاج قصصي، لهذا اريدك ان تسمعي جيدا. انا اعمل حاليا في كتابة نصوص قصصية، مكنتني من الجلوس على عرش الكلام، ذلك العرش الي تمنيت ان اجلس عليه منذ كنت صغيرا وما زلت وها انا في كهولتي. في هذه القصص حاولت ان احاور الانسان في داخلي؟، اخرجت ذلك الطفل الذي كان، تركته يتقافز حولي اثناء كتابتي، فاذا ما كتبت ما لم يرق له اخرج لسانه ساخرا وقانلا ان الكاتب مهما تقدم في العمر يبقى طفلا صغيرا قلما يعرف ماذا يريد. ما كتبه وكتبه من قصص يتحدث عن شؤون انسانية صرف، انها حافلة بالهموم التي يمكن ان تهم أي قارئ في أي موقع في العالم حتى لو كان في بلاد الاسكيمو. اعتقد ان هذه واحدة من المرات القليلة التي تمكنت فيها من ان ادخل الى مناطق معتمة في داخلي لاشتعل هناك مضيئا. اجل. الم تعلمي بعد ان الكتاب يحترقون ليضيئوا؟

تصورات

اراد ان يلهب خيالها، ان يكون معها، ان تكون معه، ان تتشكل بينهما حياة. تحدث اليها وهو يضع مسماع التلفون على اذنه، في الليل البهيم، قال لها انه يقف وحيدا ينظر عبر الظلام وانه يرى.. هل يقول لها انه يرى في النافذة المضيئة هناك في الظلام المقابل امراة عارية ورجلا يحتضنها من الخلف.. المرأة تدير ظهرها الى الوراء حيث يقف وراءها الرجل ويغيب الاثنان في.. هل يقول لها؟ يغيب الاثنان في قبلة.. انهما هما الاثنان مشتاقان، كل منهما مشتاق للآخر وكانما هو يراه لأول مرة.. هل اوصل؟ هل اصف لك ما يدور بينهما؟ هل اقول لك انهما يتشكلان وكانما هما يلتقيان لأول مرة لتتشكل الحياة بينهما؟ ترد عليه مستهلة.. متملصة مترددة.. يفهم انها عادت الى يقظتها الابدية، هي لا تريد حبيبا وانما تبحث عن زوج.. لكنه لن يكون هذا الزوج، حتما لن يكون هو.. تنتهي المكالمة ولا ينتهي تصويره.. ويواصل التخيل، لكن وحيدا.

صراخ

اجلس في المقعد، قبالة صديقي، في مكتبه، يسألني كيف تسير الاحوال، افهم انه يسألني عن احوالي مع زوجتي المتمردة وابنائي الذين لم ارمهم منذ غادرت البيت مكرها قبل فترة غير قصيرة.

افكر في سؤاله، ماذا اقول له؟ اتدقق بكلام كثير اقول له، اشعر انني لست انا، لست انا الذي كان، كل شيء يغرق في بحاري، سفينتي تغرق دون ان يكون لي حول ولا قوة في انقاذها. زوجتي انزلتني بقوة القانون عن سفينتي، تركتني وحيدا على الشاطئ، امشي حاسر الراس على حافة الميناء والعواصف تعبت بسفينتي تريد ان تغرقها.

يهز صديقي راسه مطالبا اياي بمواصلة الحديث، اوصل اقول له، انا اريد ان اكون على سفينتي مع زوجتي وابنائي والى جانبهم، لا اريد ان تغرق السفينة وانا انظر اليها من بعيد، اريد ان اتحلى بشرف البحارة، البحارة الحقيقيون لا يتركون سفنهم تغرق، وانما يبقون عليها مهما عبثت العواصف بها، فاما تنجو سفنهم وينجون معها، واما تغرق ويغرقون معها، لم اسمع في حياتي عن بحار ذي شرف رضي ان يراقب سفينته من بعيد، من الشاطئ.

اصمت واوصل، انا انسان فاشل، فاشل فاشل، انا لست انا.. الذي اريد.. يقف صديقي.. يقترب مني يربت على كتفي، لست فاشلا ما دمت تشعر على هذا النحو، الفاشلون يستسلمون.. اما انت فانك تصرخ الا تسمع نفسك؟!

حنين

عاصفة من الحنين الى الماضي تحمله بين اعطافها الى مركز مدينته. سنوات طويلة مرت على الايام الاولى له هنا.

يقف قبالة شجرة كانت ولم تعد، امام بناية هدمها اصحابها واقاموا مكانها بناية اخرى. بعض البنائات هدمها اصحابها مرتين في حياته ليقموا مكانها بناية ثالثة.

الشارع لم يعد الشارع، الاشجار لم تعد الاشجار، العصفير لم تعد العصفير.

كل شيء تغير في مدينته، الا هو ما زال هو، وما زال بامكانه ان يطير على جناحي عاصفة من الحنين ليري الى الماضي. الماضي ما زال حاضرا، الماضي ما زال يعيش فيه، هو ما زال يعيش الماضي، ما زال بامكانه ان يرى ما يريد.. انه يرى ما يريد.

الحمد لله.. انه ما زال كما هو، لم يتغير رغم كل ما حصل من تغير.

انت

الصديق العزيز ...

ارجوك الا تحضر الي، ارجوك الا ترافقني الى الناشر في دالية الكرمل، كي اتفق معه على طباعة مجموعتي القصصية الجديدة.

احس واكاد ادرك انك تغيب اياما لانني اوحيت اليك باننا سنترافق الى هناك حيث يقيم الناشر، انت تعتقد ان ما يجمعنا هو المشوار.

لا يا صديقي.. المشوار يجمعنا للحظة، لحظة جميلة نكون فيها معا وما هو الا وسيلة كي نكون معا وكي نقضي وقتا يسرنا ان نقضيه معا.

لهذا ارجوك الا تاتي، انا لا اريد ان اسافر الى الناشر في الدالية، ولا اريد ان اتفق معه على نشر مجموعتي القصصية، بل لا اريد ان اكتب القصص، لا اريد منك شيئا، لا اريد ان تاتي، لان من شان مجيئك ان يختزل صداقتنا الى مشوار عابر.. الا تدري انك اصبحت منذ زمن بعيد انت المشوار.. انت وليس سواك.

صعوبة

لم يكن ابو شنب رجلا عابرا في حياتنا، نحن ابناء العائلة المهجرة من قريتها سيرين منذ عام النكبة. تعرفنا اليه في بدايات الستينيات من القرن العشرين، كان يقف ويفتل شاربه بعد ان ينزل سيارة البطاطا لتغسلها نساء الحارة وليقوم هو بعد ذلك بتصديرها الى " الحسبة" وما زلت اتذكر كيف كان الفرغ يطل من عينيه وهو يقدم مقدار طبخة بطاطا لكل من منظفاتها بمن فيهن امي.

ازدادت معرفتنا بابي شنب يوم فتح مقهى بعد ان تحسن وضعه، ونقفت معه البطاطا، كان ذلك يوم افتتح مقهاه، وكنت كبرت قليلا، وانتقلنا للاقامة في حي اخر بعيد عن الحي الذي اقمنا فيه، غير انه ما ان راني حتى تعرف علي ودعاني لاحتساء فنجان قهوة، بعد ان شربت فنجان القهوة، قدمت اليه النقود، فرفض اخذها قائلا: ولو انت ابن حارتنا. لن اخذ منك مقابل القهوة. في الفترة الاخيرة عمل ابو شنب سانقا لباص يعمل على

خطوط داخل البلدة، عرفت ذلك حينما صعدت الى الباص لاستقله الى الحي الثالث الذي انتقلت للاقامة فيه مع ابناء عائلتي، ما ان قدمت اليه النقود حتى رفض تسلمها ودعاني للركوب بدون مقابل في المرة الاولى على الاقل.

هكذا كان ابو شنب كريما وكنا نستاهل لاننا كنا نرد كرمه بكرم.
بالامس قرأت نعيًا له، فانتابنتي حالة من الحزن.. ما اصعب الحياة بدون ابي شنب.

عناية

تقف على محطة الباص، في الشارع الرئيسي، أتوقف، أتجمد في مكاني، أحاول أن أسير، قدماي توقفاني، أقرر في النهاية أن أتوقف ليكن.. قد أكون واحدا من منتظري الباص القادم، ليكن.. قد يكون فاتني الباص المولتي، فوقفت بالقرب منها.. لانتظر.

أرسل أنظاري إليها، أتعمد ألا يراني احد، ترى أكون هي؟ أكون عناية صديقتي الرسامة بعد عشرين عاما؟ كلا كلا، مستحيل أن تكون هي، ولماذا مستحيل ومن أدراك أنها ليست هي؟ عناية كبرت يا رجل، عناية كانت قبل عشرين عاما في مثل هذا العمر وفي مثل هذا الشكل الأسر الساحر، من المؤكد أنها أصبحت الآن في الأربعين، وأنها تغيرت، ومن أدراك بأنها تغيرت؟ ألا يوجد هناك نساء تتغير أشكالهن ويتمتعن بأشكال لا تتغير؟ بلى بلى. هذا وارد. لماذا لا تكون هي عنايةك إذن؟!

دوامه من التساؤلات تتواصل بيني وبين نفسي المتعبة، أشعر كلما مر الوقت بالمزيد من التوتر، أقول لنفسي سلها وماذا ستخسر، سلها ولتصل إلى بر اليقين، أتقدم منها أتردد أتقدم واسألها عما إذا كانت هي عناية؟ فتردد كلا.. لست عناية، أمي هي عناية، لكن من أنت؟ أرد عليها أقول لها هذه قصة طويلة.
أحبيها وامضي إنها عناية تبعث مجددا.. ما أجمل هذا، ما أجمل الحياة.

حنايا

لا اعلم لماذا يستغرب اصدقائي علاقتي المتنوعة المتعددة مع الناس، اذ بامكاني ان اقيم علاقات مع اخرين من الصعب ان يقيم احد علاقة معهم.

تصادقت مع ابو زهرة فاستغربوا، وتصادقت مع ابو فجلة فاستغربوا ايضا، بل انني تمكنت من اقامة علاقة مع ضرغام الضبع فكادوا يجنون وراح كل منهم يوجه الي الاسئلة فكيف تقيم علاقة مع هذا المعقد وكيف تنجح في التحدث الى ذلك مقطب الحاجبين دائما، بل كيف تجالس ذاك، الضبع، الذي لم يصادق احدا ولم يصادقه احد؟! ليس من حق اصدقائي ان يستغربوا قدرتي على اقامة العلاقات مع من يصعب اقامة علاقة معهم، وليس من حقهم، فهم يعرفون انه توجد هناك في داخل كل واحد من اولئك الناس الصعبي المراس، منعطفات حساسة، هي منطقة انسانيتهم، لطالما قلت لاصدقائي هذا، الا انهم ظلوا يستغربون ويرون فيما اقوم به قدرة عجيبة، مع انها قدرة عادية، لطالما قلت لهم ابحتوا عن تلكم الحنايا الانسانية داخل من تتعرفون اليهم وسوف تتمكنون من اقامة علاقات ودية معهم.

محبوب؟!!

ماذا تريد يا اخا العرب؟ تريد ان تكون محبوبا؟ تتساءل لماذا لا يحبك أي من النساء؟ سؤال جدي وجاد. جدي جدا.

منذ جلست قبالي في المقهى وانا ارقب تصرفاتك والاحق نظراتك الجائعة ترسلها الى النساء العابرات الواحدة وراء الاخرى.

بعدها تتساءل عن سبب انصراف النساء عنك؟ ان المرأة تحس وتذكر وتفكر باحساسها، انها تعرف من يتسلى ومن هو جاد في تعامله معها.

انت تتسلى يا محترم. تتسلى ولست جادا بالمره. هذا ما يظهر في كل ما تقوم به من حركات، وتريد ان تعترض بعد هذا؟

لا يا اخا العرب، انت لم تحب، لهذا لم تحب، انت لم تكن مع نفسك، لهذا لم تتلق الصداقة وكان الابتعاد عنك افضل!!

موقف

يتوقف قبالة بناية " المشبير"، ينتظر جميلة تمر من هناك، هو لم يحدد فالجمال لا يحدد ولا يمكن ان يخضع لمعيار، بالنسبة اليه كل جميلة لها معيارها الخاص بها، ربما لهذا من تراها انت جميلة اراها انا غاية في الجمال.

تستغرقه افكار، لا يرفع راسه منها، الا حين يشعر بوقع قدمين غريبتين، يرسل نظرة وراء الوقع، يطير ضبان عقله، يهرع وراءها بعقلٍ حافٍ، يحافظ على المسافة بينه وبينها، هولاء لا يريدون ان يفسد على عينيه رؤيتها لبياض قدمي المرأة امامه. يلعن دين القدمين ماذا فعلتاه به حتى بلغ هذه الكهولة اللعينة. هي تمشي وهو يمشي.. الى ان يصل الى نقطة لا يقوى بعدها على التحمل.. يعود من حيث اتى. يعود الى موقفه التاريخي قبالة المشبير.. يعود الى ان تمر اخرى ليغرق في بياض قدميها. هو لا يتصور الدنيا بدون موقفه هذا.

يرى بحيرة قادمة من البياض، يتوقف عن التفكير، ويندفع باتجاهها.. فالحياة جميلة يا صاحبي..؟ فعلا جميلة.

تساؤلات

لماذا تحاولين تشويه صورتي الشخصية امام من اوسطهم للاصلاح فيما بيننا، الكي نبقي مختلفين، ام لماذا؟ وماذا يفيدك ان نبقي مختلفين، الا ترين معي ان هذا الخلاف يتسبب في تعذيب احباء ابرياء اعزاء هم ابناؤنا؟ احزني جدا ان تقولي لتلك المرأة الفاضلة التي طلبت منها ان تتدخل بيننا انني كنت وما زلت اهددك واتوعدك على الطالع والنازل، ترى اكون هناك من وضع في ذهنك اننا من الممكن ان نبقي مختلفين اذا ما تذرعت بحجة التهديد التي تعرفين انها غير صحيحة وغير مصدقة؟

انت تعرفين انني لم اهدد ولم اتوعد احدا من الناس طول حياتي، وانني انسان مسالم، وفي قلبي رحمة لكل ما هو انساني ومتحرك في هذه الحياة، فلماذا تشوهين صورتي، لماذا تدعين ما تدعيه وانت تعلمين انه لا اساس له من الصحة؟

ثلاثون عاما مرت على علاقتي بك، لم اعتد خلالها لا على قريب ولا على بعيد، وتأتين الان لتدعي انني اهددك.. والله هذه كثير.. كثير.. ثم اذا كنت اهددك.. لماذا ارسل اليك من يصلح بيننا ويقرب في وجهات النظر.. لو كنت انسانا سينا هل كنت ابذل كل هذا الجهد الايجابي.. لماذا تشوهين صورتي.. اهذا ما استحقه منك؟

صراع

صرصور يصارع تموجات المياه، يريد ان يعود الى البر، الى الامان الذي كان، ينكمش حين يشعر بالتموج يقترب منه وينفرد حينما تمر.

كل ما يفكر فيه هو الخروج من التموج المائي، ان يعود الى بيته، زوجته وابنائه، لا يشغله الا شاغل واحد كيف يمكنه ان يعود؟

لا يهيمه كيف اصبح اسير الماء، وانما كيف يمكنه ان يخرج من الماء سالما معافى. نبض الحياة يتدفق في كل من حركاته، لا استكانة لا استسلام، وانما رغبة هائلة في الخروج من خطر الغرق والعودة الى حياة كانت وما زالت ولا يمكن ان يتنازل عنها.. مهما صارع.

مكان

يتوقف في منطقة الكراج، في مركز المدينة، يرسل نظرة شك سرعان ما تتحول الى نظرة يقين، انها هي، هي وليست سواها. لحظة غير متوقعة، تاتي فتثير العالم.. تجعله احلى.

هي ايضا تتوقف حيث هي، يشعر انها تريد ان تترد الى الورا، شبي من الخفر يشدها الى الورا، وشبي من الشوق يشدها الى الامام، الى حيث هو؟، الى حيث يمكن ان يتوقفا، ان تتلامس ارواحهما.

تقترب منه، يقترب منها، عيناها تسالانه اين كنت من اين اتيت، اهي مصادفة ام متعمدة. منذ متى وانت تسير ورائي، عيناها تردان، هي كل شبي.. مصادفة وتعمد، اما منذ متى اسير وراءك فهذه قصة اخرى، انا اسير وراءك منذ كنت على هذه الارض، منذ ولدتك امك لتكوني واحدة من اجمل وردات البستان.

تغلي نار الشوق في قلب كل منهما، هما الاثنان، كل منهما يريد ان يتقدم خطوة لكنه لا يفعل، وياخذ كل منهما في التباعد، كل خطوة تبعدهما لكنها تقربهما، انهما اقرب ما يكون وابعد يكون.. اية مدينة رائعة هذه تجمع متباعدين متقاربين في الان؟

انكماش

دنت لحظة الصفر، اليوم اخر يوم في الشهر، صاحب البيت سيأتي بعد قليل، سيدخل اليه، في بيته المستأجر سيطالبه بأجرة البيت؟، سيقول له، ان مشغلي لم يدفع لي.. اصبر قليلا. انا دفعت لك دائما الاجرة، صحيح انني تاخرت، الا انني دفعت المبلغ على داير مليم.

في لحظة الصفر نحن نرى الاشياء على حقيقتها، نراها واضحة كما ينبغي.

هكذا ردد بينه وبين نفسه، ترى سيوافق صاحب البيت على إبقائه مستأجراً مقيماً الى الشهر القادم؟ سيمكنه من رؤية الشجرة الباهرة القائمة قبالة البيت وقد ارتدت حلتها الوردية الليلية، بعد ان ارتدت حلتها الخضراء، ام انه سيطرده شر طردة؟! مشاعر المحبة للبيت، للشجرة الفاتنة لالوانها المتغيرة بتغير الشهور والفصول تستغرقه، لا تترك له متسعاً للتفكير في أي شئ غير المحبة للمكان..

يغفو تنتابه حالة من الوسن الخفيف، يحلم انه في جنة رضوان، تحيط به الحياة من كل جانب.. يشعر بخطوات تدنو منه.. يخشى ان تكون خطوات صاحب البيت، ينكمش في مساحته الصغيرة.. ينكمش فلعل صاحب البيت لا يراه، ويمر عنه تاركا اياه في حلمه السابغ.

كُنْ

لا تقلق يا اخي لا تقلق اكثر، لا تخف على بيتك، زوجتك وابنائك، لا تخف، بيتك لن يخرب، زوجتك سيعود اليها رشدها، بعد ان تتذكر ايامها الجميلة معك والى جانبك، ابناؤك سيفتربون منك وها هم ابتدوا يقتربون منك اكثر، هانتذا تتقدم في اداء دورك.

انت لا تعرف كم اشعر بالفرح حينما اراك مرتاحا قليلا، حينما جاءت ابنتك الكبرى فرحت، وحينما جاءت الصغرى كدت اطير فرحا، اما حينما جاء ابنك فلم تسعني الدنيا، وحلقت حولك الم تشعر حينها؟! نحن لا نستطيع ان نحل مشكلة بهذا الحجم من التعقيد والاطراف خلال لحظات، نحن نحتاج الى الوقت والجهد، من السهل ان تحصل مشكلة في حياة الواحد منا، لكن ليس من السهل حلها.

طول روحك يا اخي، لا تقلق، حسبنا اننا تمكنا خلال فترة قصيرة من خلخلة بناء البعد، حسبنا اننا جعلناك تواجه المشكلة وتبدأ في معرفة اسبابها، حسبنا اننا تمكنا من ان نجمع بينك وبين بعض اطرافها، في الغد سنصل الى الاطراف الاخرى.

لا تقلق ارجوك، لا تقلق نحن معك، نحن اصدقائك جميعنا معك لن نتخلى عنك، سنبقى معك حتى تعود الى بيت الامان، الى بيتك، وحتى تعود الى شغل وظيفتك كأب.. لا تقلق.. نحن لا نطلب منك الا امرا واحدا، هو ان تكون مع نفسك، فكن معها ونحن متأكدون من انك سوف تكون.

العقاد

منذ وقعت عيناه عليها، منذ اقترب منها وتحدث اليها وهو لا يفتر يفكر فيها، انها هي "سارة" وليست غيرها، وحتى حينما عرف ان اسمها غير هذا الاسم، اصر على ان يناديها به.

رفعت اليه عينها في اللقاء الثاني وسألته عن اصراره على مناداتها بذلك الاسم، فأجابها بان تلك قصة طويلة وليس من الممكن حكايتها، فالتحت عليه، فأجابها انها هي، من قبالتة، تشبه امراة النقى بها كاتب مصري اسمه عباس محمود العقاد في بيت صديقة له، ووقع في هواها، فاطلق عليها اسم سارة وكتب عنها قصة حملت اسمها.

بعد ذلك، في اللقاء الثالث، جذبتها حكاية سارة فالتحت عليه في ان يخبرها بما صار بينها وبين عقادها، احتار في ماذا يقول، يقول لها ان سارة كانت امراة لعوبا؟ بالصبط مثلها؟ يقول لها انه يرى في نفسه هو الكاتب ابن الخمسين، عقادا اخر وصدمة اخرى؟ كلا لن يقول لها، على الفور اختلق قصة اخرى فهي لعوب لا تقرا، وحتى لو قرأت فسوف تنسى ما قاله لها. راح يصف قصة حب مشبوب اخرى غير تلك التي كتبها العقاد وراحت هي تغيب عن الوجود حالمة بان تكون سارته.

اما هو.. العقاد الجديد، فقد عاد يتذكر خيانة سارة للعقاد القديم وتصور ما سينتابه من الام خياتها، فحزن كثيرا ولم يتخلص من حزنه الا حينما ردد لنفسه، ان كلا من القصص يختلف عن سواه، عندها فقط تخلص من حزنه وارسل نظرة لهفة الى عينيها، من قال ان القصص تتكرر؟ الم يقتنع بعد ان القصص تختلف وان لكل قصة جدتها؟

سخونة

هاتفتم المرأة الصبية زوجها الشاب، اخبرته ان ابنتهما الصغيرة، ابنة العام، مرتفعة الحم وان درجة سخونتها زادت عن الاربعين!!
جن جنون الزوج ترك عمله وانطلق باتجاه البيت، طلب من زوجته ان تقيس درجة سخونة ابنتهما، قاستها، الدرجة نفس الدرجة فوق الاربعين، هناك خطر على حياة ابنته.
ركض الاثنان باتجاه عيادة صندوق المرضى، حمل الرجل ابنته وركض وحملت المرة نفسها وركضت وراءه، وصلا الى العيادة.
قاس الطبيب درجة حرارة الطفلة، وجدها عادية، اجرى لها فحوصات، لم يجد أي سبب يمكن ان يؤدي لارتفاع درجة سخونة الطفلة.
عاد ابناء الاسرة الصغيرة الثلاثة، الام والاب والابنة الى بيتهم، قاست الام درجة الحرارة وجدتها مرتفعة، ركض ابناء الاسرة عاندين الى العيادة، اجرى الطبيب الفحوصات، لم يظهر له ما يقلق.
اخبر الاسرة بما ظهر له، ظهرت علامات التعجب على وجوههم وعادوا الى بيتهم تصاحبهم الحيرة.
في البيت تبين لهم ان درجة حرارة ابنتهم مرتفعة، عادوا الى العيادة وهم في غاية التعجب، السخونة تنزل عن البنات فور وصولها الى العيادة. ابتمس الطبيب، طلب منهم ان يحضروا ميزان قياس درجة حرارة الجسم، احضروه تفحصه، فتبين له انه معطل نوعا ما و.. يزيّف!!

صحفية!!

الشابة: انا صحفية جديدة.
الكاتب: اهلا وسهلا.. ماذا تكتبين؟
الشابة: في امور شتى.. المشكلة ان الصحيفة التي اعمل فيها لا تريد ان تنشر ما اكتبه من اخبار.
الكاتب: لماذا؟
الشابة: يقولون انني يجب ان اطور كتابتي اكثر.
الكاتب: اذا لم يكونوا مقتنعين بك. لماذا شغلوك؟
الشابة: لا اعرف.. سالهم ابي ما اذا كانوا يوافقون على ان اعمل لديهم، فوافقوا، لبتهم لم يفعلوا، انا غاضبة منهم.
الكاتب: ماذا تفعلين كيف تطورين كتابتك؟
الشابة: اكتب.. اسود الصفحات يوميا، كي امتلك المهارات الكتابية.
الكاتب: وهل تقرأين؟
الشابة: كلا ولماذا اقرأ؟ انا لا اريد ان افسد موهبتي بالقراءة.
الكاتب: (مندهشا) وهل تفكرين في مواصلة دراستك العليا في موضوع الصحافة؟
الشابة: انا انسانة موهوبة، كل من التقيت بهم قالوا هذا، فماذا ستضيف الي الدراسة..؟ كلا انا لا افكر في مواصلة الدراسة.
يفتح الكاتب فمه مستغربا، يعدها خيرا ويمضي.. عجبني.

ثلاثة

الزوجة تعمل في صالون للحلاقة النسائية، الزوج لا يعمل ولم يعمل في حياته، الزوجة سلمت بالامر الواقع وتصرفت على اساس انها هي المعيل الاساسي للاسرة.

اسرة عادية تشكلت رويدا رويدا، جاءت في البداية " فلة" ففرحوا، وجاء بعدها "ورد" ففرحوا ايضا، حياتهم سارت على ارض متغيرة لا تخلو من المرو على مرتفعات تتلوها انخفاضات. الزوجة تعمل والزوج لاه، كيفما برمت الدنيا معه تعني، لا يشغله شاغل، بل انه كثيرا ما كان يفيض باحاديث امام زوجته وابنيه، فكان يقول مثلا: نحن يجب ان نتفق حتى لا يضايق احد منا احدا، انا لا اسالك (يقصد زوجته) أي سؤال رغم انك تربحين الوفير من المال واحاول ان اصرف على نفسي، دون ان اكون عالة عليك، كل ما هو مطلوب منك ان تقومي بتربية الابناء والصرف عليهم وعلى البيت. وكان الزوج يستترد في احاديث مختلفة من حديث الى اخر، دون ان يلتفت الى اهمية التركيز على موضوع واحد. ذات يوم اعاد الزوج اسطوانته عن " الاتفاق البيتي" واراد في نهايتها ان يفتع زوجته، فقال لها انه لا يوجد لدينا سوى ولدين وبامكاننا ان نتدبر امرنا كيفما اتفق، عندها خرجت الزوجة عن طورها وقالت له: صحيح ما تقوله صحيح مائة بالمائة؟، مع تعديل بسيط هو انه لا يوجد لدينا ولدان بل ثلاثة!!

آخ

اريد ان اقول لكم، انت هي وهو، اننا نحن الاخوة المحترمين في القرية، نعيش الخلاف على الارض والدار ليل نهار. منذ فارق والدنا الرجل الكاتب المعروف ونحن نعيش الخلاف لحظة اثر لحظة ويوما في اعقاب يوم، لم يبق باب لمحكمة مغلقا، حاول اخوتي ان يقيموا الدنيا فاقاموها وقرروا الا يقعدوها ففعلوا. هذا يخسر وذاك يربح، بيد ان النتيجة هي انه لا يوجد هناك من يربح ومن يخسر، المحاكم هي الوحيدة التي تريح، فنحن ندفع لها، لا تصدقوا هذا الاجمال: "نحن"، فانا لم اكن ولا اريد ان اكون طرفا في الخلاف بدليل انني لم اتقدم بآية شكوى ضد أي من اخواني، بل على العكس هناك من حظ نقره من نقري، فراح يتقدم بالشكوى تلو الشكوى ضدي ليجردني من شقتي في بيتنا المشترك، الا انه لم يخرج باي طائل وارتد كل ما تقدم به من شكوى عليه، انا لا اريد ان اؤذي اخي الا انه هو يريد ان يؤذي، قلت له اكثر من مرة اننا اخوة وان والدنا رجل محترم وعلينا ان نتخذ منه قدوة نحذوا حذوها ونرفع ذكره، غير ان اخي وضع في اذنيه طينا كي لا يسمع. انا لا اريد الخلاف، هم يفرضونه عليّ، اشتريت نسخا من " الف ليلة وليلة" بعدد اخوتي قدمتها هدية لهم، كي يروا الى ان الحياة لا تدوم.. لكنهم لم يتعظوا ولم يتاثروا وتابعوا قضاياهم ومحاكمهم. انني كثيرا ما اذكر والدي الرجل الكاتب المحترم فاجعل . اخ لو كان والدي موجودا لما كان هذا كله حصل.. اخ.

مقلب

ساحكي لكم كيف تمكنت من كسب ود تلك المرأة الشكاكة، لا اريد ان اقول اسمها، كان ذلك وفق خطة محكمة ساعدني في نسجها الوقت والظرف. قال ايش؟ قال بدها تصيدني. كان ذلك عندما كنت اتحدث معها عبر هاتفي الخليوي، لحظتها حاولت ان اتخلص منها بسرعة كي اواصل الحديث مع صديقة اخرى، لا اريد ان اعرفها.. وتبين لي بعد ان صلت وجلت مع تلك المرأة، انها تركت البلفون مفتوحا، ما عنى انها سمعت الى كل ما دار بيني وبين تلك الصديقة، الحمد لله لم يدر بيننا أي كلام يمكن ان تشلح اذن الرجل بسببه. بعد ذلك ابتدأت في الانتباه الى ان التلفون لم يغلق، فاواصل الحديث مع من اريد ان اواصله، لكن ليس كما هو وانما كما اريد ان اواصل اليها. هكذا ابتدأت اواصل لها ما اريد ايصاله من الرسائل، بل انني تماديت في تخطيطي فرحت ابقى التلفون مفتوحا بعد انتهاء المكالمات، واتصور انسانيه معي واروح احكي لها ما اريد ان اوصله اليها، حتى انني اختلقت ذات يوم صبية شابة ادعيت انها تعرض علي حبها، وقربت فمي من البلفون المفتوح على الطاولة امامي وقلت بملء الفم، انني لا يمكن ان اقيم علاقة مع اية امرأة لانه توجد هناك من احبها ولا اتصور العالم بدونها. لم تتحمل هكذا صدقا ومحبة، وجاءت الي في اليوم ذات ومكنتني من حبها ومنها. لا تقولوا لاحد عما حصل بيننا خلوها في سرهم. اكنتموا السر.

السعادة؟!!

ليس من حقه ان تقول انك لست سعيدة، فانت طيبة ويحبك الجميع وانت جميلة وتلفتين الانظار ومتعلمة بامكانك ان تفيضي علما على المحيطين بك.
اعرف انك بحثت عن السعادة في كل مكان في بلدتك، في بلدان اخرى من العالم، بحثت عنها في الاسكا وفي كوالالامبور، في التبت وفي بلدان تذكريها انت اكثر مني، واعرف انك عبتا بحثت عنها.
انت وضعت السعادة نصب عينيك، فعملت في المجال الاعلامي، وكنت تبهرين المستمعين، حينما تقولين في برنامجك الصباحي: بصبح عليك، بدلع لم تتمكن منه المذيعة العربية المشهورة ايناس جوهر، بعدها عملت عارضة للازياء فتوجهت الانظار الى العارضة الجميلة الطالعة طلوع الورد، وبعدها عملت محاضرة جامعية سلبت لب طلابك لما تمكنت منه من معلومات ولما وظفته من ايات دينية مختلفة واشعار عربية اصيلة.
عملت في هذا كله، علك تجدين السعادة، الا انك لم تجديها، لا في حلك ولا في ترحالك، وبقيت تبحثين عنها الى ان اوشكت ان تياسي من البحث عنها، وهانذا صديقك وابن بلدتك اقول لك، انت بحثت عن السعادة في كل مكان، فلماذا لا تبحثين عنها في داخلك، لماذا لا تسافرين الى هذا الداخل، كما فعل الفلاسفة والمتصوفة من افذاذ الناس، لماذا لا تنظرين الى السعادة لتريها هناك في امانك النفسي.. وبين يديك!!

قصة

اراد الكاتب ان يولف مائة قصة قصيرة، فاخذ يغترف من ذاكرته، من ماضيه، حاضره وحتى مستقبله. كتب القصة تلو القصة انه يحب الكتابة ويحب ان يقول ما يستحق البقاء ويلفت فيها. الكتابة بالنسبة اليه هي قدره وهي ميرر وجوده.
مضى الكاتب يضع القصة تلو الاخرى، شاعرا ان القصص هي التي تبحث عنه وليس هو، لم يدع ما يمكن ان يقوله الا وقاله.
انه يكتب بشوق بحرارة بامل.
يكتب ويكتب ويكتب ساكبا من فيض روحه ونبض وجوده.
يتوقف الكاتب عن الكتابة بعد انجازه لمجموعة من القصص يساوي عددها عدد سنوات عمره، يتوقف غير متمكن من ان يكتب قصة اخرى اضافية، يتجاوز فيها ذلك العدد الصعب القاسي.
حالة من التشاوم تنتاب الكاتب، ترى هل سيتوقف عند ذلك الرقم عاجزا عن تجاوزه وهل ازفت النهاية؟ هل سينتهي وجوده على هذه الارض قبل تجاوزه لذلك الرقم الصعب؟! وماذا بامكانه ان يفعل الان وحالته على ما هي عليه، اخبير احد اصدقائه بامر تلك القصص؟ ايقول له ان بعضها موجود على سطح الحاسوب وبعضها على اوراق وضعها في الدرج الاول من ادراج طاولته؟
بقي الكاتب يفكر اياما واياما الى ان خطرت له فكرة طريفة، فلماذا لا يكتب قصة عن معاناته هذه؟ لماذا لا يتجاوز ذلك الرقم المشؤوم بقصة اخرى اضافية عن معاناته؟ ما ان خطرت له هذه الفكرة حتى شرع في الكتابة مجددا.

المرآة

تقف الابنة الصغيرة ابنة الثمانية اعوام قبالة مرآتها، انها لا تفكر في امها المطلقة واخوتها الصغار، وانما تفكر في نفسها وفي كيف ستكون.
ترسم الابنة الصغيرة صورة لذاتها في ذهنها، ترى نفسها في شعر مرفوع للاعلى، فتاخذ في محاولة رفع شعرها دون ان تفلح.
ترقب امها من تحت لتحت، هي تعرف ان امها لا تحب ما تقوم به امام المرآة، ومع هذا تواصل محاولاتها غير عابئة بامها، بل هي تريد ان تغيظها لترى بعد ذلك ماذا ستفعل.
تواصل الصغيرة ارسالها لنظراتها الى ذاتها في المرآة قبالتها، اه لو انها تتمكن من رفع شعرها، من ابقائه بحيث يتحدى العالم، اذن لبدت الاجمل وللفتت الانظار في البيت والشارع والمدرسة.
الصغيرة تواصل محاولاتها.
امها تطلب منها ان تتوقف عن محاولتها البائسة، غير ان الابنة تواصل محاولاتها، انها عنيدة، وتعرف ان ما تريده سوف يكون لها.

الماضي

صورة لابنه وهو في الثالثة من عمره التقطها له بطريق الصدفة، استحوذت عليه حتى انه لم يعد يرى سواها من الصور.

يبحث عن تلك الصورة في كل مكان يمكن ان يكون وضعها فيه، لا يجدها، انه يتذكر تلك الصورة ولا يمكن ان ينساها، يتذكر كل ما فيها من حركة، يومها افلح في ان يلتقطها لابنه الوحيد وهو يقفز متجنباً موقداً اشعلته زوجته.

لم يدع مكانا لم يبحث فيه وكان كلما اشتعلت نار الخلاف بينه وبين زوجته، يذهب مثل المجنون يبحث عنها فلعله يجدها، لعله يكبرها في برواز كبير ويقدمها اليها فقد تتذكر الماضي.

تمضي ايام اسابيع وشهور وهو يبحث عن الصورة، كان واثقا من انها موجودة في مكان ما، هو لا يمكن ان يتنازل عن مثلها، اين هي يا ترى؟ اه لو وجدها لتمكن من اعادة صورة للماضي.

نار الخلاف تشتعل بينه وبين زوجته، ونار البحث عن الصورة تنقد، انه يبحث عن الصورة ولن يتوقف عن البحث عنها الا حين يعثر عليها، ويكبرها .. يكبر الماضي، ويقدمه هدية الى زوجته.

حيرة

دائما تقودها قدماها اليه، تخرج من بيتها، تمشي في الشارع المحاذي له، تنتقل الى شارع النزلة، ثم الى الشارع الرئيسي، تمشي وتمشي وهي لا تعرف الى اين، الا انها لا تلبث ان تجد نفسها بالقرب من حيث يقيم هو والوانه ولوحاته، في غرفة ضيقة مستاجرة.

هي تعرف انها ليست جميلة الشكل، غير انها واثقة من انه توجد في داخلها انسانة جميلة جدا، قد تكون الاجمل في المنطقة، ومع هذا تذهب اليه، ما اكثر ما توقفت قبالة غرفته وانصرفت دون ان تدخل اليه فيها، ما اقل ما دخلت اليه هناك في صومعته، كما اسمت تلك الغرفة وما اكثر ما سالت نفسها لماذا هو من بين جميع ابناء المدينة؟ لماذا هو وليس سواه، بل انها كثيرا ما كانت تستعرض ماضيها مع من مر في حياتها من رجال، فتلاحظ انها لم تكن فقيرة، وانما كانت غنية، فهي عرفت في السابق، طبالا وزمارا وشاعرا وصحفيًا، هؤلاء جاءوا اليها، طرقتوا بابها بعد ان نبذتهم زوجاتهم او حبيباتهم الجاحدات، فاستقبلتهم معتقدة انهم راوا ما اخفته اعطافها من جمال، بيد ان الايام اظهرت غير ذلك، اذ ما ان كان الواحد منهم يستعيد وعيه او تعود اليه نابذته حتى ينفذ عنها متناسيا ما اغدقه عليها من وعود.

وحده هو صاحب الصومعة من انشغل بالوانه ولوحاته، وحده هو من بقي حيث هو لم يتقدم نحوها خطوة اخرى، رغم ما حفلت به حياته من منغصات. لماذا هي تذهب اليه؟ لماذا تقودها دائما قدماها اليه؟ ترى هي تفعل هذا لانها طمحت الى ان يرسم اعماقها، ام احبته...؟ لا اجابة.

افق

الى متى ستبقى وحيدا ايها الصديق؟ لماذا لا تفكر في ان ترتبط بصبيبة تدفع الحياة في عروقتك، يسهل كل منكما الحياة على الاخر ويجعل لها معنى؟ كيف تستطيع ان تستيقظ في الصباح ولا تجد امرأة الى جانبك؟ انت لم تعتد على الوحدة، وان تطردك زوجتك من حياتها بعد ثلاثين عاما من الارتباط، لا يعني ان تبقى وحيدا، زوجتك قررت ان تعيش بعيدة عنك، ابناؤك كبروا وعلى كل منهم ان يتحمل مسؤوليته الشخصية، انت الوحيد من بقي بين افراد اسرتك وحيدا، صدقتي انني لو كنت اجد الوقت الكافي لعرفتك على صبيبة رائعة تملأ فراغ وحدتك، الصبايا الرانعات موجودات، قل انك موافق، فاكون على استعداد لتعريفك باجمل صبيبة. لماذا تقبل هكذا وضع؟ انت لا تستحق هذا كله ويحق لك ان تمارس حياتك مثلما يفعل جميع الناس، يحق لك ان تعيش الى جانب صبيبة تقول لك حينما تستيقظ في الصباح ماذا تريد ان تشرب يا حبيبي. اعرف انك ستفتح اسطوانة الامل في عودة الماضي الجميل في بيتك، مع زوجتك وبين ابناؤك، اعرف هذا لكني اريد ان اسالك الى متى ستواصل دفع مقابل انسانيك.. الى متى؟

توازن

قالت لنفسها وهي تبتعد عن رفاقها، انا يجب ان ابتعد، ان اهرب، هؤلاء ليسوا اصدقاء، لو كانوا كذلك لما تخلوا عني، لما تركوا تلك الحيزبون تنزل علي، في بيتها نزلة غير شكل، لما تركوها تنشب افكارها العتيقة في جسدي الشاب.

صور تلك الجلسة تتلاحق، تطرق باب مخيلتها، هي لن تنسى مهما عاشت كيف اشرايت المضيقة الحيزبون، المسنة المتصابية، بعنقها وراحت تتهدد وتتوعد لمجرد انها، هي الصيبية ضيفتها، ناقشتها قائلة انه توجد هناك افكار جديدة، وان افكارها، هي المضيقة، باتت عتيقة.

كما انها لن تنسى كيف بقي رفاقها، لن تقول اصدقاءها، صامتين لا يعقبون بكلمة، ولا تصدر عنهم حركة، لو وقع أي منهم في مثل ما وقعت فيه، لعلمت تلك المضيقة كيف يكون الحديث اليهم، هم الشباب، اما هم فقد تخلوا عنها، تخلوا عنها تاركين اياها حائرة في صورة ما تقوله لتسترد بعضا من كرامتها المهودرة على كنبات تلك الصفيقة.

لا يوجد هناك اصعب من ان تجد نفسك وحيدا، بعد ان تخلى عنك من كانوا اصدقاء. الشارح كان امامها ممتدا طويلا، وكان امامها الكثير مما تفكر فيه، لتستعيد توازنها، بينها وبين نفسها.. على الاقل!!

أُخ

استعيد الان، وانا اكتب اليك هذه الرسالة، ذكرى ما جرى بيننا على اطلال صفورية، فاقلب على ظهري من الضحك، ولك انت مش راح تتغير، راح تظلك الانسان المشاكس الانفعالي المتطرف في ارانك، الى ابد الابد. اني ارك الان وانت تهوج وتموج، لمجرد ان رايتي لم يرق لك في الزعيم الراحل.. فرحت تصرخ وتصيح مدعيا ان الصهيونية والاميرالية العالمية واتباعهما سلطوني عليك.

اما كانت لحظة جنون، انا مكنش قدامي الا ان اصب لك كاس الكونياك ورا الكاس، كنت بدتي اشوف لوين بدتها توصل معك. ولك يا زلمة، زعيمك صارت عظامه مكاحل، واذا بتعصره اليوم بتطلعش منه قطرة مي. انت بتدعي انه عمل وعمل وعمل، يعني فكرك محدا عمل غيره؟ اسال اختيارية بلدنا عن النخوة اللي كانت عند مختار البلد، في العهود الماضية، اسالهم بقولوك انه مكنش يخلي واحد يطلع من عنده مفضل، اما زعيمك فقد ازعل نصف البلد ليرضي نصفها الاخر اللي استفاد منه.

اصح يا زلمة، فيق، العالم تغير، انا بعرف انك عايش في الماضي بس انت لازم تميز بين المحبة والتقدير. اللي بتعمله تقديس.

هذا اللي قتلتك اياه، شو كان فيه تيدفعك لكسر كاس الكونياك والمشي للناصره على القدمين؟ بدل ركوب سيارتي؟!

والله اسه بتخيلك وانت داير ظهرك، وبقلب على ظهري من الضحك، وشو يعني اذا اختلفنا بالراي بتروح مشي؟ اما كان موقف بضحك.. اخخ، خخ خخ.

صداقة

اكتب اليك هذه الرسالة بعد ان سمعت ان ذلك الطبيب الماكر، تركك تعانين، بعد ان اقام معك علاقة تبيدت خلالها سنوات اخرى من عمرك.

انني اتذكر الان كيف بقي اخو الشلن يتلبد لك حتى شردت عنا، ففعل ما فعله الذنب القارح في الشاة البعيدة عن القطيع.

انا متأكد انك لا تستحقين ما حصل ويحصل لك، كونك انسانة وحيدة لا اهل ولا وطن، لكن انت لست وحيدة، انا واصدقاني معك والى جاتبك.

ما الذي حصل لك؟ الم تتعلمي من اخطاء الماضي؟ ولماذا تذهبين ابنتها الصديقة الى اسوا ناس في البلدة لتقيمي معهم علاقاتك؟ فيتركوك واحدا وراء الاخر، بعد ان ينالوا منك؟

لقد لاحظت خلال علاقتي بك انك لا تقيمين علاقة مع أي انسان يحبك وانما تذهبين الى اولئك الغلاظ قساة القلوب!! ترى ايكون هذا بسبب انك انسانة وحيدة، وتبحثين فيمن تقيمين معه علاقة عن القوة والحماية؟ فيمارس اول ما يمارس قوته عليك؟ ام لانك سينة الظن في الحياة وتريدين ان تتاكدي من سوء ظنك فيها؟!

سواء كان هذا السبب او ذلك هو ما يدفعك لاقامة علاقات فاشلة، فاني اؤكد لك انك لست وحيدة.

نموذج

كل الناس تحسده الا انا، فانا اعرفه ورايت من ممارساته الشائنة ما يتقطر له العرق من الجين، أي انسان هو، يحلل لنفسه ما يحرمه على الاخرين، يشتري ولا يبيع، يعرف عن الجميع كل شئ، في حين لا يعرف عنه المحيطون به سوى ما يريدون ان يعرفوه.

همه ان ينفذ بجلده، هو وابناء عائلته، لا يهمه امر احد، في السر، اما في العلن فان الانسان هو المقدس الوحيد، يبدو في غيلة الرهبان الا انه لا يعرف التحريم والتحليل.

حينما يتعرض الى مواجهة مهما كانت صغيرة، لا يواجه، بذريعة طالما احسست بها، ولم يقلها، هي انه لا يمكن ان يسمح لاحد ان يحدد له مكان المنازلة الاخرية وزمانها، وانما هو من يحدد، اصف الى هذا انه توجد هناك منازل تستحق واخرى لا تستحق، فما يتعلق منها بالكلام والاخذ والعطاء لا قيمة له، اما ما يتعلق بالمال فانه المحور.

هو يؤجل المنازلات كي يتبين امرها، فاذا كانت لا تستحق تجاهلها، اما اذا تبين له، ولو متاخرا، انها تستحق، بادر اليها مكشرا عن انيابه غارسا اظفاره في كيان غريمه، غير ميق له اية امكانية للفرار. طالما رايته يتحالف مع الشيطان من اجل الحاق الهزيمة باخصامه وتحقيق المزيد من الربح المادي. يوحي لك انه انما يفعل هذا من اجل ابناؤه وحفدته ومن اجل الحياة، والحقيقة هي العكس.

حب

انا متاكدة من انك لن تكون لي، لن تكون زوجي، لن نستيقظ في الصباح ولن يقول احدها لآخر صباح الخير، لن تذهب الى المرأة كي تحلق ذقنك ولن تجلس على حافة السرير تداعب اطراف شعري المنسدلة باتامك الرقيقة. انا متاكدة من انه لن يكون لنا ابن يطل الفرح من عينيه كلما داعبناه، فتبرق عيوننا وتلتقي وجوهنا عنده. لن نصطحب ابنا الى الروضة، ولن نوصي الحاضنة عليه، لن نعلمه كيف يحفظ الارقام والحروف، ولن يتوقف احدها قرب نافذة البيت محتارا في طريقة مبتكرة، مثل تنعيم الارقام والحروف كي يحفظها بسرعة. انا متاكدة من ان ابنا لن يذهب الى صف بستان، فأول ثم ثان فثالث.. الى ما لا نهاية. لن يذهب الى الجامعة ولن نقلق الليالي عليه متسانلين عما اذا كان تناول الطعام او لم يتناوله.. نام جيدا او بقي سهران. انا متاكدة من اننا لن نسافر معا الى بلاد بعيدة ولن نرى شمسا اخرى واناسا اخرين، لن نشيخ معا ولن نسير في طريق لا نهاية له. مع هذا اشعر بانجذاب شديد اليك.

الكاما سوترا

لماذا انت غاضب، اهكذا يعمل فيك صدأ امرأة لك؟ لم اكن اتوقع انك يمكن ان تتاثر لمجرد ان امرأة صدتك، يا اخي احمد ربك انها اكتفت بالصد ولم تتجاوزته الى الزجر والتوبيخ.

والله انك تضحكني حينما تقول انكما اتفقتما على ان تلتقا في المقهى الثقافي وانها جاءت الى اللقاء في ابهى ملابسها وسهرت معك حتى ساعة متأخرة من الليل. تضحكني حينما تقول لي انك كنت تغلي مثل نار في مرجل طوال السهرة، وانك لم تصبر حينما خرجتما لتتمشيا في الشارع، فمددت يدك الى كتفها ففرت مبتعدة عنك، فما كان منك الا ان تحاول الالتصاق بها، عندها وجهت اليك لكمة ايقظتك مما انت فيه، واعادتك بالتالي من متاهتك الى واقعك المر.

ما كان عليك ان تقوم بمثل تلك الحركة السيئة، كان عليك ان تدعي ان يدك دقرت بها دون ان تقصد، اما ان تلاحقها بعد ان ابتعدت عنك، فذاك هو الخطا وقد نالك نصيبك في صفعها لك.

اعتقد ان فكرتك عن المرأة محدودة جدا، وهذا ما ينبغي ان تراجع نفسك فيه، فاذا كانت امرأة قبلت ان تمد يدك اليها وجارتك لاقامة علاقة معها، فان هذا لا يعني ان كل النساء يتعاملن هكذا. ان رد النساء يختلف من واحدة الى اخرى، حتى لو كان ما قمت به هو الفعل ذاته، فافهم ايها المغفل ان لكل امرأة مفتاحها الخاص بها، اما اذا اوحيت اليها انك تريد فصدتك، فان هذا يعني انها مشغولة بغيرك.

اذا كان لا يروقك مثل هذا الكلام، بامكانك ان تعود الى كتاب "الكاما سوترا" كي تتعلم منه كيف تعامل المرأة، وكيف تنال ودها.

الكلام؟

الأول: ساعمل في مجال بعيد عن الصحافة. لن أؤسس بعد اليوم لا جريدة ولا مجلة، وإنما سأبحث عن وكالة تجارية، أقص من ورائها المال حلال زلالاً، اتعنتني الصحافة.
الثاني: لكنك عملت في الصحافة وصدرت جريدة وكانت لك تجربة في هذا المجال.
الأول: دعنا من هذا الكلام أنا اتفقت تقريباً مع وكالة لانتاج مواد التنظيف، سافتح حانوتنا للبيع بالمفرق وسأبيع بالجملة.
الثاني(ساخراً): لو فتحت محلاً لبيع الفلافل والهامبورجر، لكان هذا أفضل، فالعمل في بيع الماكولات يدر دخلاً أكبر.
الأول: ومن قال لك انني لا افكر في فتح مقصف لبيع الماكولات.
الثاني: تقول حقاً؟
الثاني: لقد توصلت الى اننا ينبغي ان ننظف بيوتنا جيداً وان نشبع، بعد ذلك افكر في اصدار جريدة. اخطات مرة لن اعود لاكرر الخطأ ذاته.
الثاني يفتح فمه مستغرباً: ما هذا الكلام؟

معاناة

خذني الى السوق يا صاحبي، خذني الى هناك، اريد ان اشترى ابو كادو وبندورة وخيار وفليفلة، اريد ان اشترى ما يبيل ريفي.
انت لا تعرف ماذا يعني ان تقذف امرأة بزوجها الى خارج بيته، بعد سنوات طوال من الزواج. انت لا تعرف كيف يشعر هذا الزوج بعيداً عن بيته، ابناؤه وادواته.
ما اصعب ان تقذف بك زوجتك تحت غطاء القانون الظالم، الى خارج البيت وان تدلق ماء وسخاً ورائع، النساء اصبحن ايها الصديق في زمننا هذا قاسيات غليظات القلوب، وماذا كان بإمكانني ان افعل، ان اضربها؟ كلا انا لا اضرب امرأة، ان ابقى في البيت؟ كان هذا صعباً، اذ ليس هناك اصعب من ان تعيش الى جانب امرأة لا تريد ان تعيش معك، ان حياتك تصبح جحيماً.
لعلك لا تعرف ماذا يحصل لي ايها الصديق، غسل الملابس بالنسبة لي مشكلة، تناول لقمة العيش مشكلة، كل ما احتاج اليه مشكلة.
خذني الى السوق يا صاح، خذني الى هناك، اريد ان اشترى لقمة اسد بها جوعي.. نعم انا جائع.. جائع جائع.. ولا يوجد هناك من يشعر بي في .. وحدتي.

واحد

لم يعودا اثنين متباعدين، لا تجمع بينهما رابطة، ولا يضمهما مكان، بعد ان التقيا في ذلك النهار. هو ابتدا يشعر بانه وجد نصفه التائه منذ غضب الالهة على الانسان الواحد وشرها اياه الى نصفين، وهي ابتدأت تشعر كذلك.
اصبح للزمن لدى الاثنين معنى وقيمة، وصار كل منهما ينتظر اللحظة المناسبة للالتقاء بنظيره.
تساءل الاثنان لماذا لم يلتقيا من قبل، وانتظرا كل ذلك الوقت كي يلتقيا وراحا يتخيلان العالم قبل لقائهما وبعده، في الماضي كانا يشعران انهما ناقصان وانهما ينبغي ان يكتملا، في الحاضر، بعد ان التقيا، شرعا يحسان انهما اكتملا وان كلا منهما وصل الى حالة من الرضا والقناعة.
اتسعت دائرة كل منهما وضافت في الان ذاته، ضاقت واتسعت كذلك، صارا يشعران انهما مرتبطان وان اصره قوية تشد كلا منهما الى الاخر، فتجذبه الى حيث يكون نظيره.
بعد ان التقيا لم يعودا اثنين متباعدين.. باتا اثنين في واحد.

لا تنتظر

اياك والانتظار اكثر، العمر يمضي ويمضي دون ان يسأل احد عنك.

خمسون عاما مضت من العمر وانت تنتظر، الا ان شيئا مما اردت لم يات، ذهب الذين احببتهم وبقيت مثل السيف فردا. بقيت تنتظر، ماذا تنتظر بعد؟
انت بقيت مكانك لم تبحر، اردت ان تكون عفيفا، ان تبقى مثل تلك القطة العفيفة التي استولى ذكرها على عقلك يوم قرا قصتها عليكم استاذ اللغة الانجليزية للصف الاول.

الى متى سنتنظر حيث انت؟ جميع من هم حولك، من يسوى ومن لا يسوى، كان لهم ما اردوا، كل منهم كان له ما اراده بطريقته الخاصة الا انت، ماذا تنتظر اكثر وهل تبقى متسع في العمر، ولماذا تنتظر اكثر؟
العمر قصير والانتظار طالت سنواته، ذهب اخوك الى عالمه الاخر ولحقت به امك قرّة عينك، بعد خمسين يوما كندا واسى، وقد تذهب انت فجأة وبدون انذار يذكر كما حصل لهما، ماذا تنتظر ايها الحالم الابدي، ولماذا تنتظر؟ وهل تبقى المزيد من الوقت للمزيد من الانتظار؟
اركض.. اركض.. وسوف تلاقي الانتظار.. بانتظارك.

ندم

بدت ببلورتها اللصق، وبنظونها اللصق ايضا، كانما هي حورية خرجت من الجنة للتو، وانطلقت في الشارع الواصل بين بيته ومكتبه.
ما ان وقعت عليها نظاره حتى تمنى لو انها تبقى سائرة هناك في الطريق والاعود الى جنتها، بل تجلب الجنة الى ذلك الشارع وتبقى فيه.
اية امرأة جميلة هي؟ من اين اتت بهذا الشعر المقصوص " كرية"؟ من اين اتت بهاتين الغمازتين، واي روح تقيم في هذا الجسد الفائر؟ الناس عادة تلبس ملابسها اما هذه فان الملابس تلبسها، حتى لكانها تبدو هي صنعت لها ولا تليق الا بها، قال في نفسه.
حالة من حمى الجمال انتابته، اراد ان يتقدم منها، ان يتحدث اليها، ان يقول لها اية كلمة تفتح ابواب الكلام المقفلة، ليطل منها على جنتها، ارتد الى الوراء، في اللحظة الاخيرة، لم يتقدم اكثر ولم يتحدث. " جبان" قال لنفسه، وتابع طريقه الى مكتبه.
في اليوم التالي تعمد ان يمر من هناك في الوقت ذاته، غير انه لم يرها، كذلك فعل في اليوم الثالث فالرابع، حتى ادرك انها لن تنشر اريجها في الشارع، عندها عض بناجذيه على شفتي الندم وما زال يعض منذ خمسين عاما.

قارئ

يوم كان صغيرا، في عمر الورد، وجد كتابا، بين مجموعة من الاوراق القديمة المرمية قرب بيت يقع بين بيته في الضاحية وبين المدينة.
كان الكتاب بدون غلاف، اقبل على قراءته دون ان يبحث عن عنوانه او اسمه، قرا وقرا ويهره ما قراه.
الكتاب يتحدث عن الحياة، وهو يحب الحياة، هل وجد الحياة في ذلك الكتاب؟ لا يستطيع ان يقول انه وجدها، وانما بإمكانه ان يقول انه احس بما هو جميل فيها.
قراءته للكتاب جعلته يشعر بالتميز، ومنحته ثقة زائدة بنفسه، فهو يعرف ما يريد ان يعرفه، وربما ما لا يعرفه العديدون من ابناء صفه في المدرسة.
رافقه ذلك الكتاب طوال ايام حياته وكان كلما اراد ان يفهم الحياة ويحبها اكثر، يعود الى كتابه، ظل يقرأ الكتاب حتى استظهره عن ظهر قلب، بعدها اخذ يبحث عن كتاب اخر مثله، فراح يقرأ الكتاب تلو الكتاب حتى اصبح قارنا يشار اليه بالبنان.. كان يبحث عن كتاب مشابه لكتابه الاول.. وما زال يبحث.

الكتب

شاهد عبر زجاج السيارة المنطلقة به، عبر شوارع مدينة حيفا المؤدية الى مدينته الناصرة، كومة من الكتب، التفت الى صديقه سائق السيارة الى جانبه طالبا منه ان يوقف السيارة.
عاد السائق بسيارته الى الوراء، نزل الاثنان، سارا خطوات باتجاه كومة الكتب الى جانب حاوية النفايات. اخذ الاثنان يتفحصان الكتب، كانت باللغة العبرية وبعضها باللغة الانجليزية.

جمعا ما طالته ايديهما من الكتب. اليهود ابتدوا في القاء الكتب في حاويات النفايات، بسبب دخول الانترنت الى بيوتهم، ما ان قال هذا لنفسه، حتى لفت نظره مجموعة من الصور كانت صوراً لابناء اسرة واحدة، صورة واحدة تكررت في معظم الصور لرجل بدا انه كاتب. لم يعرف من اين جاءه الاحساس بان تلك الكتب لذاك الرجل، فذف بها ورثته الى حاوية النفايات، لانها باتت زائدة عن اللزوم، ام لانهم ارادوا ان يسلموا بيته الى المستاجر الجديد نظيفاً.

شعور بالانقباض استولى عليه، كان ذلك الشخص، في الصورة، يشبهه الى حد بعيد، فهو يضع النظارة الطبية على عينيه، وهو مثله يطل حزن بعيد من طلعه.

في الطريق الى الناصرة، لم ينبس ببنت شفة، كما يفكر في امر واحد، هو هل سيقدف ورثته بكتبه، اعز ما لديه، بعد رحيله؟ وانسابت من عينه دمعة.

جرودي

لن اذهب الى بيت والديّ الراحلين، لن اذهب الى هناك، لن اذهب لآخذ كتبتي واوراقي وملابسي، ساتركها هناك ساتركها، فلا قلب لدي لمواجهة الماضي.

في ذلك البيت قيت معظم ايام عمري، كبرت يوماً اثر يوم، وكنت ارى الى والدي وهما يراقبانني انمو واكبر عن كتب، لا يمكن ان انسى يوم طر شاربي كيف قال لي والدي: احلق شاربك، لماذا لا تحلقه؟ يومها ضحك مضيفاً: احلق شاربك كي يصبح اكثر كثافة. ومد يده الى شعرات نبتت على ذقني بصورة متباعدة، تحسسها بيده وهو يقول: "ولك ككك جرودي" وفهمت فيما بعد انه استعمل المكان للتعبير عن المكان، معتمدا على الجرد العالي.

في ذلك البيت كان والدي واخواني يملون الفضاء حياة، لم اكن اتصور ان ينفرط عقده، فيرحل الوالدان ويتفرق الاخوان.

اخ.. ماذا اقول، لن اذهب الى هناك.

القلعة

قلعة مغلقة الأبواب. لا تفتح في العام سوى مرة واحدة. في داخلها كلاب مقعية ومستمتعة بالدفا. في خارجها كلاب تنبح من شدة البرد.

الكلاب في خارج القلعة تنتظر الموعد السنوي لفتح أبواب القلعة. ما أن تفتح هذه حتى تتسرب مجموعة منها الى الداخل.

من ينجح من الكلاب في الدخول يتخذ مكانه بين إخوانه الجدد، فيما تواصل الكلاب في الخارج النباح، بانتظار الموسم القادم للفتح.

السفينة

تهب الأنواء شديدة على السفينة بعد أن اقتربت من الشاطئ وأوشكت على الرسو، تشرف السفينة على الغرق، تتراكم الفئران مذعورة على متنها.

كل من الفئران يحاول أن ينفذ بجلده، أن ينجو غير عابئ بما يمكن أن يحصل لأبناء جلده من الفئران، يحمل ما خف ثمنه وغلا ثمنه.. ويسبح باتجاه الشاطئ.

حين تغرق السفينة أو تكاد، يطفو على سطحها من تبقى من فئرانٍ فزعت بآمالها إلى الكذب. الفئران تبدو هذه المرة حائرة.. من يتقن العوم منها، يحاول أن يسبح باتجاه الشاطئ، ومن لا يتقنه يصارع الموج.

صاعقة

هو: ترو قليلا، لا تكن عصيبا. روق العرس انتهى ولم يبق سوى أن تتروى، حتى تبقى مكانك وربما تصل إلى بر الأمان.

الآخر: ماذا يعني هذا؟
هو: يعني أن هناك أمورا كثيرة تغيرت. وان العالم لم يعد العالم الذي كان ذاته. هناك عالم آخر ابتداءً في الظهور
وعلينا أن نهيب أنفسنا له.
الآخر: هل يعني هذا أن زمن الأحلام انتهى؟ هل انتهت فلسطين؟ هل انتهى الحلم بها؟ ولماذا غادرت البلاد
وعدت إليها، تشردت وتعذبت كل هذا العذاب، إذا كانت هذه هي النتيجة الأخيرة؟
هو: ماذا تريد؟ ماذا تعني فلسطين بالنسبة إليك؟ أليست كوفية وعقالا وقمبازاً وما إلى هذه من ملابس؟ أليست
هي تراثا وفولكلورا وما إلى هذه؟ غدا سوف يأتي من يقيم المعارض والمتاحف للملابس الفلسطينية
وللفلكلور الفلسطيني. أليست هذه فلسطين التي تريدها؟ غدا سيأتي من يقدمها إليك في معرض أو متحف لائق
فعلام القلق؟
غرس "الآخر" عينيه في عيني "هو"، خرجت عيناه من محجريهما، كان يشعر بان صاعقة ساحقة ماحقة
أصابته، فراح يتهاوى رويدا... رويدا.

مع تحيات يحيى الصويفي
مؤسس ورئيس تحرير موقع

القصة السورية
SyrianStory